www.riwaya.net

١٢

روايات احلام

حصاد الندم

حصاد الندم

لتحميل مزيد من الروايات الحصرية و المميزة

زوروا موقع مكتبة رواية

www.riwaya.net

حصاد الندم

العدد 12 من روايات احلام

الكاتبة : سارة كريفن

العنوان الأصلي :

Past All Forgetting

www.riwaya.net مكتبة رواية

الملخص

من بين كل البلدان فى العالم التى عمل و جال فيها .. ماذا جذب نيل ميرلاند إلى هذه البلدة التجارية الهادئة ؟

وكيف يتحمل العودة إلى المنزل الذى طرد منه بإزدراء ؟

مرة قبل الآن ومنذ سبع سنوات كانت سوزان جبانة ، ولهذا تواجه مأزقها الحالى .. وهذا هو عقابها ولو أنه بالنسبة لنيل ليس كافيًا .

وعرفت سوزان أن نيل لم ينس ولم يغفر .. ولكن ماذا كانت تتوقع غير ذلك ! فما فعلته لا يمكن غفرانه ..

1- خيوط العنكبوت

أطلت سكرتيرة المستشفى أماندا جونز ، من باب مكتبها وقالت لسوزان بيل :

- أوه . . . هذا أنت . كنت سأرسل ممرضة لتفتش عنك . لقد اتصل بيتر وقال إنه سيمر بك بعد خمس دقائق .

توقفت سوزان وقد أجفلها الخبر . اعتادت أحيانًا الخروج مع بيتر لتناول الغداء ، ولكنه كان يعطيها إنذارًا مسبقًا لتستعد .

لو ردَّت هي على اتصاله الهاتفي لاختلقت له الأعذار فهي لا ترغب في أن تشاركه وجبة طعام في الأوزة البيضاء المطعم الوحيد في البلدة .

بدا على أماندا المرح :

– هاي . . . ابتهجي . . . من ينظر إليك يظنك تلقيت حكما بالإعدام . رويدك ، فهذا سيحدث يوم الزفاف يا عزيزتي ! أما الان فأنت مخطوبة للفتى ، فلِمَ لا تتمتعين بفترة, الخطوبة ؟

ردت سوزان مبتسمة رغمًا عنها ، وهى تعلم أن أماندا امرأة متزوجة وسعيدة :

– ليتني لم أفسد أحلامك الوردية المتعلقة بالحب . . . لكننى أشعر بالاجهاد قليلاً . . . .

ربتت أماندا على كتفها :

– لا تهتمى . . . عندما تتزوجين بيتر سيصبح هذا كله حلمًا

مزعجًا ، أما زال يريد منك ترك العمل ؟

ردت سوزان متجهمة :

– أجل . . .

نظرت إليها اماندا بدهشة :

– لا تقولي لي أنت تعيدين النظر في الأمر؟

– اوه . . . لست أفكر في بيتر لكن في ترك العمل . . .

يبدو لي ذلك . . . شاذًا فأنا لا أخالني ربة منزل خاملة .

– ربة منزل خاملة ؟ وكيف سيكون لك ذلك وأنت ستتولين

شون منزل كبير تقيمين فيه حفلات الاستقبال ، هذا إن لم

أذكر الأولاد اولادك ؟ أت تمزحين !

www.riwaya.net مكتبة رواية

– لكننى أرى الأمر منافيًا للعقل . . . عندما بدأت تدريبي ، اعتقدت أنني ساستمر في مهنة التمريض ، لسنوات طويلة !

– إلى أن تصبحى عانسًا كما أعتقد ! فيأتك الزعماء مصافحين مهنئين ، وهم يقسمون أنك ملهمتهم .

ضحكت ، وراحت تحدج سوزان بنظرة شاملة . أبتداءً من شعرها الأسود الناعم المسترسل إلى العينين الخضراوين وصولاً إلى الجيد النحيل الرشيق وإلى الساقين الجميلتين فالقدمين الصغيرتين اللتين . . . يكسوهما حذاءً عاليًا . . .

– آسفة يا عزيزني ، ولكن هذا الوصف لا ينطبق عليك !

توجهت سوزان إلى غرفة الملابس، حيث خلعت ثوب الخدمة الأبيض وتناولت معطفها الطويل ، ثم توجهت إلى المدخل تفتش عن سيارة بيتر . . .

تقدمت منها إحدى الممرضات الجديدات :

– هل شاهدت تلك السيارة ؟

أمسكتها بيدها ثم جرتها :

– تعالي وانظري إليها . . . إنها . . . رائعة !

سارت سوزان معها على مضض حتى وصلت إلى الموقف الذي توضع فيه سيارات الزائرين والموظفين ، لكنها ما إن وصلت حتى فغرت فمها فالفتاة لم تبالغ في دهشتها . . . صحيح أنها لا تعرف شيئا عن السيارات ، إلا أن هذه كانت فعلا رائعة ، لكنها لم تستطع تحديد طرازها ومكان صناعتها .

حدقت الممرضة إلى السيارة متمتمة بإعجاب مانعة نفسها عن ملامستها لئلا تترك بصماتها آثارًا على لونها الأحمر .

ودوى صوت زمور حاد . فتراجعن إلى الوراء عندها ظنت سوزان أن مالكها قادر على إبعاد الناس عنهاء بضغطه الزر .

. . ثم لم تلبث أن شاهدت سيارة بيتر تقف عند الباب ، فدنت منه تمشى على مهل . . . .

قال لها بعد أن صعدت :

– ليس لدينا وقت طويل .

طبع على خدها قبلة ، وهي تنظر إلى ساعتها :

– أمامنا أكثر من ساعة ، والخدمة في مطعم « الأوزة البيضاء » ليست بطيئة و. . .

– لن نذهب إليه . . . أريد أن أريك شيئًا أولاً . أما بالنسبة للطعام فسنتناول سندويشات فيما بعد .

www.riwaya.net مكتبة رواية

نظرت إليه بحيرة :

– ولكن خارج البلدة .

فأرسل إليها بسمة انتصار .

– أعلم هذا . . . اجلسي مسترخية يا حلوتي ، في انتظار المفاجأة .

أطاعته سوزان ، وقد حيرتها مظاهر الاثارة المكبوتة البادية على وجه بيتر . إنه عادة من القادرين على كبت مشاعرهم ، وهذه الصفة ساعدته على النجاح العملي . . . فليس سرًا في الجوار أن بيتر روسمان هو القوة المحركة لشركة «روسمان» وأن والده الذى أسس الشركة ، قانع بأن يكون الرئيس ، وبأن يترك إدارة الشركة بين يدي ابنه .

كانت شركة روسمان الشركة الوحيدة في الجوار ، وقد تقدمت بشكل سريع في السنوات الأخيرة ، رغم الركود الاقتصادي العام. وهذا التقدم أحدث تغييرًا كبيرًا فى البلدة ، حيث انتشرت عقارات سكنية جديدة في ضواحيها ، وشُيّد بناء مستعجل لزيادة قدراتها المدرسية البدائية ومستشفاها الصغير

. . .

البلدة ما زالت كما كانت منذ أن وعت سوزان . لقد سافرت لتتدرب ، وكانت سعيدة لابتعادها وهي ما زالت تذكر ما أعادها إليها رئيسة قسم تمريض في المستشفي المحلي . والداها غمرتهما السعادة لعودتها ، فعودة ابنتهما حتى تزف يومًا إلى عريسها هو ما يريدانه بإلحاح .

سوزان وبيتر التقيا منذ سنتين ذلك عندما استلم بيتر زمام الأمور في شركة والده ، بعد أن تخرَّج من الجامعة وإثر تلقيه تدريبًا جيدًا فترة زمنية خارج البلاد . أما لقاؤهما فكان في النادي المحلي بعد ظهر يوم سبت دافىء دعاها فيه إلى العشاء . وسرعان ما توطدت علاقتهما خلال الأسابيع التالية . كان خلالها بيتر يتودد إليها : لكن بدا وكأنه لا يريد استعجالها إلى ما ليست مستعدة بعد له . . . رغم تصميمه كانت عملية إقناعه كسولة بطيئة . لكنها بعد أن عرفته جيدًا ، أدركت أن الأمر ليس بعيدًا عن مخيلتها . . . وهو كذلك كان يريد أن يكون متأكدًا وبشكل راسخ من نفسه .

وأعلنت خطوبتهما رسميًا بعد ثلاثة أشهر ، إنما لم يحدث في تصرفاته تغييرًا يذكر مؤخرًا . فعلاقتهما ما زالت على حالها

وهو لا يسعى على ما يبدو إلى نقلها إلى مسار حميم أكثر . لم يتفقا حتى الآن على موعد الزواج ، لكن يبدو أن بيتر يفكر في أن يكون في الربيع القادم . سيصبح بيتر زوجها وستصبح هي ضيفة دائمة في منزل والده الساحر .

راحت تضغط بيديها في حضنها إلى أن المها الخاتم الألماسي اللمّاعِ . . . فقد طالعتها من خلف ضباب ذكرياتها ذكرى ظنت أنها دفنتها عميقًا ، لكنها ما زالت باقية . . . حاولت تنحيتها بوحشية إلى ظلمات تفكيرها . . . فما حدث انتهى منذ سنوات طويلة يومذاك لم تكن سوى طفلة . لذا لن تستمر فى تأنيب نفسها .

www.riwaya.net مكتبة رواية

لِمَّا جذبت نفسها نحو الحاضر مجفلة أحست أن السيارة تنعطف يسارًا ثم ترتقي تلاً . استدارت في مقعدها لتنظر إلى البلدة الهاجعة في حضن الوادي خلفها .

– لكن في الاتجاه الآخر. حبيبي ، لدي ساعة راحة ، لن تدوم إلى الأبد .

– أعلم . . . لكن لدي مفاجأة لك يا حبي . . . اصبري .

أعادت انظرها إلى الأمام بقلق :

– حسنًا . . . ولكن لا شيء في هذا المكان كما تعرف إلا « قصر كوانتون» .

سرَّها أن بيتر لم يلاحظ الجهد الذي لزمها لقول هذا .

– صحيح ! فتاة ذكية ! ستنالين علامات عالية .

أمام خيبة أملها ، أبطأت السيارة . وقد بدا أن بيتر يريد الانعطاف يسارًا ، فقالت محتجة :

– لا يمكنك الدخول إلى هذا المكان . إنه مهجور منذ سنوات .

رد بعفوية :

– أعلم .

تابع قيادة السيارة عبر البوابات صعودًا على طول الطريق الداخلية المستديرة .

– إنه لأمر مؤسف .

كانت شجيرات الورود المتسلقة المرتفعة تلتف من كلا الجانبين . في المرة الأخيرة التي رأت فيها هذه الحديقة كانت

مليئة بالورود ، وقتذاك كانت تجلس في مؤخرة سيارة أقل فخامة من سيارة بيتر ، تكاد تصاب بالمرض من جرَّاء الاثارة التي كانت تشعر بها لأنها ذاهبة إلى حفلة تقام في القصر الكبير . . . قصن كوانتون ، أما السبب الحقيقي لتلك الإثارة فوجوده في القصر ، وعزمها على لفت انتباهه إليها .

ارتجفت فجأة فأغمضت عينيها .

– هل أنت خائفة ؟

عندما فتحت عينيها بعد توقف السيَّارة وجدت أن ما تمر به كابوسًا يتحقق حقًا . إنهما يقفان فعلاً أمام «قصر كرانتون» الذي ما زال على حاله . . . درجاته توصل إلى الباب الأمامي ومظهره يقف أمامهما بشموخ . الشيء الوحيد الذي تغيَّر فيه هو أن الجرار الكبيرة المتركزة على طرفي السلم غدتا

www.riwaya.net مكتبة رواية

فارغتين ومهملتين ، بعد أن كان يعنى بهما فيما مضى عناية دائمة تدوم صيفًا وشتاءً . فلا بد من شيء يرحب بالقادم عند الباب ؟!

– لن نستطيع الدخول . . . أعلم أنه فارغ لكنه ملك اللورد ميرلاند رغم . . .

مد بيتر يده إلى جيبه ليخرج مجموعة من المفاتيح المربوطة معًا .

– لم يعد كذلك . . . يدهشني أنك ما سمعت الخبر الذي سينشر في الصحف المحلية التي تصدر في نهاية الأسبوع . لقد توفي اللورد ميرلاند في الأسبوع الفائت ، لذا سيعرض القصر للبيع ، ووالد هنري هيربرت الذي زودني ببعض المعلومات السرية هو من سيتولى عملية البيع .

ضحك ضحكة حادة مليئة بالاثارة ، ثم جذب جسد سوزان إليه :

– ألم تفهمي بعد يا حبيبتي ؟ سيكون هذا منزلنا !

بدا لها الصمت وكأن لا نهاية له ، ثم قالت بغباء :

– لكن . . . لا يمكننا شراءه .

– وما الذي سيمنعنا ؟ لا تكوني بلهاء يا حبيبتي . . . لقد تكلمت مع أبي ، وأعطاني موافقته ، بل تحمس للفكرة كثيرًا هذا مكان مثالي قريب من مواقع العمل ، ومساحته تسمح لنا بإقامة كل حفلات الاستقبال . أضيفي إلى أنه ليس كبيرًا إلى درجة تحتاجين معه إلى عدد كبير من المستخدمين لمساعدتك فيه . أعتقد أنه كان لعائلة ميرلاند مدبرة منزل

ترعاه لذلك بقيت حالته معقولة . وكان زوجها يرعى الحديقة . وهما كما أعلم

عجوزين ولكن هنري يعتقد أنهما قد يرغبان في الاستمرار في العمل لو سألناهما ذلك سوزان . . . ما خطبك ؟ هل أنت بخير ؟

ردت كاذبة :

– أجل . . . أنا على ما يرام .

حاولت بيأس أن تتمسك بأطراف سيطرتها على نفسها وابتسمت :

– ولكن لا يمكن أن تكون جادًا يا بيتر . . . كيف يمكنا أن نعيش هنا ؟ إنه منزل آل ميرلاند القديم . . . والجميع يعرف هذا .

– دون شك . . . لكن في الوقت الحاضر لم يعد هناك «آل ميرلاند» ليسكنوا فيه ! أتعتقدين حقًا أن قصرًا رائعًا كهذا يجب تركه ينهار من الإهمال ؟ هيا بنا يا حبيبتي . . . أنت من تأخرت وعليك العودة إلى المستشفى . . . تعالي وألقي نظرة عليه .

لم يكن لديها أي خيار سوى الإذعان . فلو رفضت لاتهمها ولتساءل عن السبب وعندها لن تستطيع تفسير رفضها .

ما إن وصلا إلى أعلى درجات السلم حتى سألته بحذر :

www.riwaya.net مكتبة رواية

– ولكن ثمة أقرباء لآل ميرلاند ، ماذا عن . . . عن ابن الأخ ؟

هز بيتر كتفيه ، وهو يهم بإدخال المفتاح المناسب في الباب :

– لست أدري يا حبيبتي . . . إنني لم أعلم بوجوده حتى . . . وهو لم يرث الأملاك .

أدار مقبض باب القاعة ، إنها كما تذكرها ذات درجين يلتفان وصولاً إلى رواق معمد يشرف على القاعة . قال لها :

– هنا كانت تقام حفلات الرقص . ما أشدَّ أسفي لأنني لم أشارك في أي منها . أعتقد أنك لم تشاركي فيها قط ، فقد كنت صغيرة جدًا .

– لقد أتيت مرة واحدة . . .

تقدمت إلى غرفة الاستقبال تفتح بابها . فهي غرفة جميلة طالما أعجبتها أبوابها الزجاجية ذات القناطر المطلة على الحدائق والمشرفة على مياه النهر المتلألئة من بعيد . بدت الغرفة غريبة دون أثاثها الأثري ودون اللوحات التي ما زالت آثار مواضعها بادية على الجدران . . .

المقابض الحديدية للنار ما تزال حيث هي في قلب المدفأة الحجرية حيث خشب الصنوبر الذكي الرائحة الذي كان يضطرم فيها يومًا .

تذكرت ، كان هناك أريكة منخفضة قرب المدفأة ، جلست على حافتها سوزان تلميذة المدرسة ، يومًا متوترة الأعصاب ، تمسك بفنجان شاي صيني عاجي اللون تصب فيه السيدة ميرلائد الشاي وتسأل عما تنوي فعله بعد انتهاء الدراسة .

يومها قالت بسرعة : «أحب السفر» حاولت منع نفسها من النظر إلى الباب بانتظار اللحظة التي سيفتح فيها ويدخل « هو» . .

. هو . . . نيل . . . نيل ميرلاند ، ابن أخ اللورد ميرلاند ، القريب الوحيد ، الذي يعمل مهندس بترول ويجوب العالم للتنقيب . . .

لكنه وقتئذ لم يدخل فذهب بذلك سبب مجيئها أدراج الرياح . . . كانت تأمل أن يراها مرة أخرى فيعلم أن الطفلة الصغيرة الجميلة لم تعد طفلة ، وعندها قد ينظر نيل إليها آلان نظرة جديدة . . . نظرته إلى . . . امرأة . . .

احترقت وجنتا سوزان ، وهي تقف وسط غرفة الجلوس الفارغة ، كانت ساذجة تعتقد أن كل شيء بسيط . . . فكل

www.riwaya.net مكتبة رواية

ما عليها القيام به هو مد يدها سائلة : أعطني ! وسيعطيها الجميع ما تطلب ، لأنها الجميلة التي تكاد تبلغ السابعة عشرة ، والمدللة لدى الجميع .

أحدهم كان قد ترك مفتاحًا في الباب الموصل إلى الشرفة . . . وكان عالقا في القفل ، ولكنه بعد قليل انفتح وخرجت سوزان إلى الخارج ، إلى الهواء النقي . . . في مكان ما في ذاكرتها صوت محذر كان يصيح بها أن لا تنظر إلى الخلف . . . وقد نجح هذا الصوت في السنوات المنصرمة . . .

أحست بالصدمة عندما سمعت أن السيد ميرلائد مات . . . كان سيدًا عطوفًا يُعنى بزوجته ويحترمها وكان نيل يحذ حذو عمه في معاملتها .

www.riwaya.net مكتبة رواية

ما من أحد ، لحسن الحظ ، ربط رحيل نيل المفاجىء بقرار اللورد إقفال القصر والانتقال . كان الجميع يعلم أن اللورد شعر بالاحباط لأن ابن أخيه لم يدخل الجيش كما أراد هو ، لكن من المعروف إنه كان لنيل اتجاه خاص . ومخالفته إرادة عمه لم تعنِ أن الأخير كان فخورًا بعمل ابن أخيه . كان الناس يقولون إنه ابن أكثر من ابن أخ . ولعل ذلك مرده إلى يتم نيل الذي فقد والديه صغيرًا .

كان هناك شيء ما بشأن نيل في صباه ، وكانت سوزان من بين عشرات المعجبات به . عندما كان يبتسم ، كانت فتنته تتحول إلى سحر ، سحر شرير تقريبًا .

دنت من حافة الشرفة ، تلف ذراعيها بقوة حول جسدها . الهواء كان ينفخ بقوة من جهة الجبل ، وكان لقوته لذع ما .

– حبيبتي ، ماذا تفعلين هنا في الخارج ؟ الطقس بارد .

بدا صوت بيتر كئيبًا وهو يتقدم نحوها عبر الباب الزجاجي .

فردت عليه :

– انفض عني خيوط العنكبوت .

الله وحده كان يعرف مدى صدق قولها . أخذ بيتر التعليق كما هو ورد عليها :

– سيحتاج المكان إلى التنظيف لكنني لا أشم رائحة العفن ، أتشمين شيئًا ؟ يبدو لي بحالة جيدة . هل تلقين نظرة على الطابق العلوي ؟

– اذهب وحدك ، سألحق بك بعد دقائق . أريد التمتع بالمنظر قليلاً لقد مضى زمن طويل لم أشاهده فيه .

www.riwaya.net مكتبة رواية

زمن طويل . . . سبع سنوات . . . على وجه الدقة .

سبع سنوات منذ قصدت ذلك المزاد العلني مع والدها لتجد نفسها وجهًا لوجه أمام نيل ، الذي جاء ليرافق زوجة عمه التي كانت تشتري بعض الأغراض . . . وقتها لم تعرفه فقد كان دائما نحيلاً ، أما الآن فقسا

وجهه ، وبرقت عيناه السوداوان قلقًا . وقتها رد على تحية والدها بابتسامة ومصافحة ، ثم استدار إليها وقد اتسعت ابتسامته . وقال ردًا على سؤال أبيها :

– طبعاً أذكر سوزان . فأنا بانتظارها حتى تكبر بنفاذ صبر .

إنها ملاحظة قد يقولها لابنة أي من معارفه . . . إنها تفهم هذا الآن ، فلماذا لم تفهمها يومها ؟

تأملت سوزان ، هي تتذكر تلك الأوقات البعيدة . لم تمض فترة طويلة قبل أن تعرف سبب وجوده في البلدة . . . فقد كان في فترة استجمام من مرض ألم به في إحدى المناطق النائية من العالم حيث كان يقوم بعمله . ومع أنه مريض ، إلا أن هذا لم يمنعه من رمي نفسه في دوامة الحياة الاجتماعية في المنطقة .

ومع ذلك فلم تهتم بأخباره يومها كثيرًا إلى أن قال والدها لأمها ، عند الفطور صبيحة أحد الأيام :

– أرى أن ميرلاند الشاب غارق مع مارييت شونغان . أليست فتاة جميلة ؟

– بإمكانك قول هذا .

نظرت إلى سوزان نظرة قمع . وعاد والدها للحديث :

– حسنا ، لن نلوم الفتى . . . فما زال الوقت مبكرًا قبل التفكير بالاستقرار لكنني أراهن أنه لم يقل لعمه هذا ، فالعجوز متزمت .

نهضت سوزان عن الطاولة ، مشتعلة الوجنتين غضبًا فالتقطت حقيبة المدرسة . . . وهي تقول لنفسها إن نيل لا يعقل أن يحب ماريبت شونغان . . . لكنها في ذلك المساء وخلال الحفل السنوي العام لمنتصف الصيف وجدت أدلة عديدة أثبتت لها عكس ما تعتقد . فقد كان نيل هناك وماريبت معه تتعلق بذراعه عند كل فرصة تسنح لها .

لكن ما عزى سوزان اكتشافها بأن ماريبت لم تكن سوى واحدة على لائحة طويلة من الفتيات ، اللاتي كن يرافقنه

للرقص والحفلات في ليالي صيف حزيران وتموز . ولعل أكثر ما كان يؤسفها إنها لم تكن إحداهن .

أخيرًا وجدت فرصتها ، يومها أقيم احتفال راقص للشبان . وقد استطاعت الحصول على دعوة من الشاب جون آرمر الذي يصغر نيل ببضع سنوات . . . أما والداها فلم يوافقا على ذهابها ولكنهما أيضًا لم يستطيعا الحؤول دون ذهابها لأن ذلك كان سيغضب عائلة آرمر . إضافة إلى أن جون كان محترمًا ، والسنوات الثمانية التي هي الفارق بين عمره وعمر سوزان كانت الشكوى الوحيدة ضده .

خلال السهرة لم يلتفت إليها نيل ولو لمرة واحدة . إثر استراحة قصيرة كانت بعد منتصف الاحتفال حدثت المعجزة . . . فقد عادت سوزان من غرفة الزينة ، فوجدت الجميع

يرقص باستثناء نيل الجالس وحيدًا على الطاولة . . . وقف احترامًا لها وهي تقترب ، ثم أمسك لها الكرسى لتجلس . . .

ابتسمت له ، مستخدمة أهدابها دون خجل :

– آلن تطلبني للرقص ؟

– لا . . . ولكن إذا كنت مصرة .

وقف مادًا يده إليها ، فابتلعت إحساسها بالإذلال ، ورافقته إلى الحلبة كادت تبكي بسبب خيبة الأمل . . . إنها تعرف أن بإمكانها جعله يهتم بها . . . آه لو تتاح لها الفرصة فقط !

وكأنما دعاؤها استجيب فقد تغيرت الموسيقى إلى نغم بطيء . . . ووسط صفير الذئاب وعويل القطط ، التحم كل زوجين بين ذراع بعضهما . . . نظرت سوزان إلى نيل فرأت التسلية

تتصارع مع السخط على وجهه . . . حسبته للحظات سيعيدها إلى مكانها أمام أنظار الجميع لكنه ، إثر هزة كتف ، شدها إليه . فما كان منها إلا أن اقتربت لا إراديًا أكثر فأكثر ثم ضغطت جسدها بقوة عليه وطوقته بذراعيها .

أجفل للحظات لكنه لم يلبث أن ضحك متمتمًا :

– أنتي أيتها الحلوة ، تملكين حركات ساحرة من الطراز الأول . . . لكنك طبعًا تعرفين هذا .

ردت رأسها إلى الوراء تنظر إليه فتعمدت الاغراء :

– لا أعرف شيئًا سوى أنها المرة الأولى التي تراقصني فيها .

ربت على طرف أنفها بإصبعه :

– لا تجربي احتيالك علي أيتها الصغيرة ، فقد رأيت من الاحتيال الكثير . واللاتي كن يقمن به أكثر منك خبرة . اذهبي واغرزي أسنان الحليب في لحم شاب في مثل عمرك .

عندما تكلمت كان صوتها يهتز غضبًا :

– لا تكن آمرًا . . . . متسلطًا ! أنت أكبر مني بعشر سنوات فقط يا نيل ميرلاند ، فما الذي يعطيك الحق بانتقادي ؟

ضحك في وجهها الغاضب :

– هذا أفضل لك . فالمظهر المتحذلق لا يناسبك . أمامك سنوات طويلة لتصلي إلى هذا . وأنا أفضل الصغيرة التي أعرفها ، تلك التي كانت تتبعني والايس كريم على فمها .

قاومت لتتماسك :

www.riwaya.net مكتبة رواية

– يحزنني ما تقول . أما تعلم بأنني دفنت تلك الفتاة منذ زمن بعيد . . . كما دفنت معها جواربي القصيرة وجسر الأسنان الحديدي .

– يحزنني ما تقولين أكثر مما تتصورين . . . أسمعي سوزان أعرف . . . أو بالأحرى أشك ، فيما أنت ساعية إليه . لن أدعي أنني لست مسرورًا بهذا . . . فلن أكون من البشر إن لم تسرني مساعيك . أنت شابة جميلة ومرغوبة وأضيفي إلى هذا الخليط النشاط و . . . أنا . . . لا أريد أن أكون موجودًا . . . عندما ينفجر هذا الخليط . فالانفجارات الموقوتة فى عملي كثيرة ، لذا عندما ابتعد عنه أسعى للراحة والاسترخاء . دافع داخلي دفعها إلى القول :

– أهذا ما تناله من مارييت شونغان ؟

ضاقت عيناه :

– لا أظن أن لك شأنًا في ذلك . . . لكن دعيني أنصحك بألا تحذي حذوها . . . لأنك تفتقرين إلى المعدات الأساسية التي تملكها .

ترك عينها تجولان فى ياقة فستانها المفتوح الصدر . . . فاحمرت وجنتاها ، وقالت بغيظ :

– أنت . . . أيها . . . أيها الخنزير !

فهز رأسه موافقًا :

– الخير أن أكون خنزيرًا في نظرك على أن أستجيب لصلوات مراهقة . والآن . . . هل لنا أن نستريح ؟

www.riwaya.net مكتبة رواية

تلك الليلة ، بكت بمرارة ، لكنها استيقظت في الصباح وتفاؤل شاب يقفز إليها كمعجزة . لقد قال إنها جميلة ومرغوبة . . . وعلى هذا ستبني خططها .

صوت بيتر أعادها إلى الحاضر :

– هل ستقضين يومك كله تحدقين في هذا المنظر المشؤوم ؟

التفتت إليه فرأته قرب الأبواب الزجاجية يحدق فيها باستغراب :

– أوشكت على العودة إلى عملك ولمَا تري بعد غرف النوم أو المطابخ .

خفضت نظرها إلى أحجار حاجز الشرفة . . . ثم قالت :

– لا أظن أن باستطاعتي العيش هنا يا بيتر !

ارتفع منه صوت لا يكاد يصدق ما يسمع :

– ماذا ؟

– نحن غير مضطرين لشراء هذا المنزل ؟

بللت شفتيها ونظرت في ما حولها يائسة ثم أردفت :

– إنه كبير جدًا . . . لا شك في أن فيه سبع أو ثماني غرف نوم على الأقل ونحن كما قلت سنحتاج للعناية به إلى مستخدمين ، وهذا مالا أريده . أنا أريد أن أعمل بمفردي عندما نتزوج ، في بداية الأمر أقله .

تعمقت تقطيبة بيتر :

– ما دهاك يا سوزان ؟ ظننتك تعرفين أنك لن تكوني متوسطة الحال ممن يسكنون في شقة مؤلفة من ثلاث غرف.

www.riwaya.net مكتبة رواية

فمستوانا الاجتماعي مختلف يا حبيبتي . . . عليك أن تكوني واقعية .

عضت شفتها :

– آسفة يا بيتر . . . أنا . . . أنا فقط ، لا أهتم بهذا البيت ولا أخالني أعيش فيه .

تسامحت أسارير وجهه قليلاً :

– لعلي استعجلتك قليلاً ؟ أنا آسف ، هذا غباء مني . ظننتك ستشعرين بالإثارة بقدر ما شعرت .

تقدم منها يلف ذراعيه حول خصرها ، ويضغط شفتيه على شعرها :

– أتسامحيننى ؟

– طبعًا.

كان الابتسام صعبًا لكنها قامت بجهد كبير لتبتسم .

صمت لبضع دقائق ثم قال :

– إنه منظر رائع . هل أنت متأكدة من أنك لا ترغبين فيه ؟ فكري في الأمر . فأملاك مثل هذه لا تعرض للبيع دائمًا . . . أنت جميلة يا حبيبتي ولن يليق بك إلا مكان مناسب تكونين فيه سيدته .

فجأة أحست برغبة في الخلاص من بين يديه المتجولتين . . . فجذبت نفسها بعيدا وهي تحاول الضحك :

– بيتر . . . يجب أن أعود إلى المستشفى . أنا آسفة لأنني خيبت أملك . سأعيد التفكير ثانية . أعدك .

– لن أطلب أكثر من هذا .

شبك أصابعه باصابعها ثم قادها نحو غرفة الجلوس ، وأقفل الباب الزجاجى خلفه .

أثناء العودة لم يتبادلا أطراف الحديث إلا بعد أن أوقف سيارته عند أبواب المستشفى الخارجية ، فأمسك بيدها وقال :

– العشاء الليلة ؟

– لست أدري . . . سأغسل شعري .

– إنه يبدو رائعًا . . . ولكنك أعرف به مني . سأتصل بك غدًا .

وقفت على الرصيف تراقبه يبتعد ، وهي تحس بعالمها كله ينقلب رأسًا على عقب . . . أسوار الأمان والقناعة التي بنتها بألم وجد خول نفسها خلال السنوات ، بدأت تُظهر دلالات التهاوى .

إنها تعلم أن جزءًا من واجبها كزوجة له هو استقبال الضيوف وإقامة الحفلات ، واستضافة الزبائن الغرباء للمبيت عندهما . . . لكن هذا المنزل . . . هذا المنزل ليس لهما ، ولن يكون . مهما كان مقدار المال

الذي قد يدفعه والده لشرائه . إنه منزل آل ميرلاند . . . وذنبها هي . . . هي وحدها ، جعل نيل لا يرثه . غلطتها أبقته فارغًا طوال هذه السنوات . . . صحيح أن أحدًا لم يتهمها بهذا من قبل ، لكنها تعرف . تعرف أن نيل ترك منزل

www.riwaya.net مكتبة رواية

عمه منذ سبع سنوات ، بمرارة وعار بسببها هي . . . وإن اللورد مات دون أن يسامحه .

إن الأحساس بالذنب الذي يعتمل في نفسها لا يعرف به سواها وسوى شخص آخر يسكن في آخر الدنيا ، شخص لم يساعدها إطلاقًا على إراحة ضميرها . اتجهت إلى المستشفى دون أن تدري ، إلى أين تسير لذا لم تسمع صوت محرك السيارة ، التي لم تعِ وجودها إلا بعد سماعها زمورها . ابتعدت بسرعة عن طريقها ، والتصقت بالجدار متمتمة بكلمات الاعتذار ، نظرت إلى مقعد السائق ، متسائلة عمن يكون صاحب مثل هذه السيارة المثيرة ، وأي عمل جاء به إلى مثل هذا المستشفى الريفية الصغيرة . وماتت الابتسامة على

www.riwaya.net مكتبة رواية

شفتيها . فقد ظنت للحظات إنها تحلم ، وإن ما تراه . ليس إلا طيف كوَّنته حالتها العاطفية المشحونة .

وقفت السيارة بنعومة إلى جانبها . . . ثم انفتحت نافذة السائق ، تطالعها منها عينان سوداوان نظرتا إليها وهما خاليتان من التعبير أولاً ثم تحركتا ببطء ودراسة إلى الأسفل ، إلى وجهها الأبيض الشاحب وأطرافها المرتجفة التي خرجت عن سيطرتها .

– مرحبًا سوزان .

إنه صوت نيل ميرلاند .

ثم انطلقت السيارة إلى الأمام ، بهدير منخفض قوى وكأنها وحش كاسر ضخم . . . واختفت .

www.riwaya.net مكتبة رواية

2– في أيد أمينة

أغلقت سوزان باب غرفة نومها ، ثم جلست على حافة السرير تتنهد بارتياح . كان رأسها يضج ألمًا وأحاسيسها المرتبكة تجعلها تحس بألم جسدي .

لم تكن تدري كيف أمضت بعد الظهر تؤدى واجباتها ، لكن من حسن حظها أنها لم تترك مكتبها طوال بعد الظهر ، لقد كانت ترد على استفسارات الممرضات وكأنها غائبة عن الوعي ، لكنَّ أحدًا لم ينتبه إلى مظهرها المتصلب ويديها المشدودتين .

أما والدتها فلم يغب عنها ما تعانيه ابنتها . فقد راقبتها وهي تحرك طعام المساء بملعقتها دون أن تأكل ، ولما سألتها عن حالها أجابت سوزان بأنها تعاني من نوبة صداع فكان إن اقتنعت الأم بقولها فسارعت إلى

إعطائها بعض الأدوية المسكنة ثم نصحتها بملازمة الفراش .

وأحست سوزان بالامتنان لقبول هذه النصيحة . . . .

وها هي الان في غرفتها ، مستلقية على معدتها في عرض الفراش . تضع ذقنها على ذراعيها المعقودتين .

عاد نيل ميرلاند إلى شارلڤيل . . . بعد كل هذ السنوات دون أي إشارة ، أو كلمة . عاد ، وها قد تلاشت راحة بالها إلى الأبد .

أغمضت عينيها ، محاولة محو ذكرى تلك النظرة التي رمقها بها قبل أن يبتعد من بالها . . . هذه النظرة أوضحت بأبلغ من الكلمات ، أنه لم ينس شيئًا مما مر بهما منذ سبع سنوات . لم ينس ولم يغفر كذلك . . . ولكن ماذا تتوقع غير ذلك ؟ فما فعلته به لا يغتفر. . . هذا ما كانت تعرفه دائمًا .

لكن لماذا عاد ؟ ألا يعرف أن عمه لم يورثه القصر والأملاك ؟ ما الذي يجذبه إلى هذه البلدة ؟ وماذا ينوي أن يفعل ؟

لقد كان نيل غامضًا دومًا . . . لهذا كانت تستمر في ملاحقته وكلها ثقة في أنه ليس بذلك الغموض الذي يحاول أن يظهر به . تذكرت كيف كانت ردة فعله وهي بين ذراعيه . . لعلها لم تكن ذات خيرة واسعة لكن جسده كان يفضح كذبه بتجاوبه الغريزي معها . كان هناك عنصر من التحدي

في تلك العلاقة . . . كانت تحاول مستميتة أن تجعله يعترف بأنه راغب فيها ، بالفعل كما بالكلمات ، وكانت تسعى إلى جعله يسعى إليها ذليلاً .

تأوهت سوزان ، ثم دفنت وجهها بين يديها . . . لماذا آه . . . لماذا كانت واثقة يومها أن بإمكانها فعل ما تريده به . بينما كانت كل الأدلة تقول العكس ؟ الله وحده يعلم ، انها تلفق إنذارًا منصفًا ، لذا لا يقع اللوم إلا عليها .

يومها بدأت هواجسها تنكشف لأصدقائها الذيق أطلقوا بعض التعليقات التي تجاهلتها كلها رغم المشاعر المعتمرة داخلها . فالصديق الذي كانت تخرج معه قبل لقائها بنيل ، أحس بالانزعاج لعدم اهتمامها ، فبدأ يخرج مع فتاة أخرى ،

www.riwaya.net مكتبة رواية

وماهي إلا فترة قصيرة حتى بدأت سوزان تحس أنها أصبحت خارج معظم أجواء أصدقائها ولكنها كانت تؤكد لنفسها أنها لن تهتم بشيء اخر غير نيل .

استلقت سوزان على ظهرها تنظر إلى السقف . تتذكر تلك الليلة المميزة . . . يومها لم تخرج لتتمشى وحدها كعادتها . فقد كانت تزور صديقة لها يملك أهلها مزرعة على بعد بضعة أميال من الوادي . وكانت تقود دراجتها عائدة متأخرة أكثر مما كانت تنوي . لكنها لم تكن قلقة . . . فوالداها على الأرجح سيظنان أنها تقضي ليلتها عند اليزابيث كما تفعل عادة .

وصلت إلى مفترق الطرق المؤدي إلى شارلڤيل ، فأبطأت سرعتها لتنعطف عندما لاحظت سيارة تقف إلى جانب

www.riwaya.net مكتبة رواية

الطريق بين الأشجار المرصوصة على حافة الطريق العام .

وعرفتها على الفور . . . وضحكت .

أول ما فكرت فيه أن نيل بين الأشجار مع مارييت ، لذا اضطرت إلى كبح غلواء غيرتها وغضبها . وانتصر التعقل ، فهذه الأشجار لن تكون مكانًا مناسبًا للعشاق . . . إذن ماذا يفعل هنا ؟ نزلت عن دراجتها ، أوقفتها إلى جانب الطريق قرب السيارة . وسارت نزولاً عبر طريق موحل خاص بالمشاة وهو الطريق الوحيد هناك ، وقتذاك لم تسمع أية أصوات ، سوى صوت بومة جعلت قلبها يزداد خفقانًا .

سحبت نفسًا عميقًا أتبعته بتنهيدة مليئة بالخوف . ثم تابعت طريقها . توقفت بعد أن برزت من بين الأشجار ضفة النهر

www.riwaya.net مكتبة رواية

القريبة من الطريق . النهر في هذه النقطة عريض ، تياره عميق وبطيء .

يعتبر السكان المحليون هذا المكان مثاليًا للاستحمام . . . ونيل . . . كما شاهدت . . . كان يستغل هذا الواقع .

تسللت إلى الضفة . . . فوجدت ما كانت تبحث عنه . . . ثيابه فى مجموعة مرتبة . . . فجلست عليها متظاهرة بالرزانة ، منتظرة أن يراها . لكنه ، كان مستغرقًا في لهوه . فلم يلمحها . فما كان منها أخيرًا إلا أن جذبت انتباهه بواسطة نحنحة أرادت أن تجلو بها حنجرتها . غطس في الماء ثم لم يلبث أن خرج منه على بعد أقدام من الضفة يمسح الماء عن وجهه وشعره . وهو يقول :

– سوزان ! مادا تفعلين هنا ؟

www.riwaya.net مكتبة رواية

– أنت لست الوحيد الذي تجذبه السباحة في ضوء القمر .

. . ألا تحب الرفقة ؟

– لا . . . لا أحب . . . فكوني عاقلة وارحلي من هنا . . .

أرجوك !

عبست . . . وهي تدرك ، أن بيدها السوط . . . قالت :

– هذه بلاد حرة . وهذا مكاني المفضل ، وليس جزءًا من أملاك عمك . . . لذا لن تجبرني على الذهاب .

– لا . . . لا استطيع هذا . لكني أود لو ترحلين .

فابتسمت :

– أوه . . . قولك هذا لا ينفع . . . لو طلبت مني بلطف البقاء لتغير الوضع .

– بالطبع سيكون مختلفًا . وماذا سيكون دوري بعدها ؟ هيا تعالي فالمياة رائعة ؟

فردت بكل أدب :

– أشكرك على دعوتك اللطيفة ، آسها عن بالك أنني لم أحضر ثوب السباحة .

أخذ يسبح في دائرة واسعة :

– لا . . . لكننى واثق من أنه لم يغب عن بالك أننى لا ارتدى ثوب سباحة كذلك .

لن تعترف أن هذا لم يخطر لها على بال . قالت مدعية عدم المبالاة شاكرة العتمة لأنها أخفت عنه احمرار وجهها :

– أوه لكن هذا لا يهم . فأنا أعرف كيف يبدو الرجل عاريًا .

سخر منها بابتسامة :

– وكيف ذلك ؟

فردت بهدوء :

– أتهزأ بي ؟ إن من يخسر أولاً يضحك آخرًا .

– أنت محقة في كل شيء . . . حسنًا يا سوزان . . . استسلم . . . لماذا لا تنضمين إلي ؟ وأعدك بأن أدير ظهرى ، إذا كان هذا ما تنتظرين !

لم ترد ، فتابع بعد قليل :

– ما خطبك ؟ لِمَ هذا الجبن ؟

ردت غير صادقة :

– لست خائفة . . . لكن كل ما في الأمر أن المياة باردة .

فضحك :

– سأفكر بطريقة تدفئك ، أيتها الساحرة الحلوة .

لابد أن هناك ردًا على كلامه . . . لكنها لم تستطع التفكير فيه .

أحست فجأة بجفاف في فمها وبارتجاف عنيف في داخلها . كان جزء منها يرغب ، بكل طفولية ، في الهرب ، لكن الآخر ، كان يحثها بإغراء على البقاء .

عندما تكلمت كان صوتها أعلى من المعتاد ، متقطع النفس .

– حسنًا . . .

www.riwaya.net مكتبة رواية

وقفت ببطء ، ترتجف رغم عدم وجود نسمة هواء . عندما اقترب نيل من الضفة قالت له وأصابعها تقف مترددة على أزرار قميصها :

– وعدت بإدارة ظهرك .

– إذا رغبت في هذا .

صوته الدافئ العابث جعلها تشهق وكأنه مد يده ليداعبها . خطت خطوتين نحوه قبل أن تدرك الفخ الذي ينتظرها . . . لأن أصابع فولاذية قبضت على كاحلها ، وأفقدتها توازنها . أحست للحظات أنها تطير في الهواء قبل أن تقع في الماء على بطنها متألمة ثم لما عادت إلى سطح الماء ، متألمة ومذهولة ، شعرت بأنها ابتلعت نصف النهر .

www.riwaya.net مكتبة رواية

أما نيل فكان على الضفة يشد حزام الجينز وينظر بسخرية إليها وهي تتخبط في الماء .

– لن تؤهلي للسباحة الأولمبية . . . أما فرقة الانقاذ المحلية فقد ترحب بمتطوعة لكننى سمعت أنهم يفضلونها مرتدية الثياب .

فصاحت به :

– أيها النذل !

– لا تتفوة الصغيرات بكلمات كهذه . وإذا كان هذا سيعزيك ، سأقول لك إنك أغريتني للحظات . لكنني أحذرك يا سوزان . . . ابقى مع من هم فى مثل سنك من الآن فصاعدًا .

www.riwaya.net مكتبة رواية

عندما أخرجت سوزان نفسها المياه سمعت صوت محرك سيارته . . . كانت دموع الغيظ والاذلال تمتزج مع قطرات الماء على وجهها . . . لن تسامحه أبدًا . . . لذا ستجعله يدفع ثمن ما فعل ولو كان هذا آخر ما تقوم به في حياتها .

بعد بضعة أيام وبينما كانت تتجول فى السوق ، تتفحص قطعة قماش , أحست بيد تمسك ذراعها وصوت نيل يقول :

– لم تصابي بسوء من السباحة كما أرى !

انتزعت ذراعها منه بقوة ونظرت إليه سخط :

– لا يعود الفضل إليك . . . كدت أغرق أو أصاب بذات الرئة .

– كنت واثقا من قدرتك على النجاة .

قالت بصوت مرير :

– شكرًا لك ، أنا أعرف أن هذا ليس إطراءً .

– أهذا ما تطلبين . . . الإطراء ؟

طأطأت رأسها تنظر إلى قدميها للحظات . ثم قالت :

– أريدك أن تعاملني كامرأة .

رد بصوت ألطف يشوبه الضحك :

– إذن دعك من تصرفات الأطفال . . . كم عمرك يا سوزان ؟

– ساصبح في السابعة عشرة بعد أسبوعين ، لكنني أظنك تحسبني في السادسة عشرة .

– دعك من الظن ، وهيا بنا لنحتسي القهوة .

www.riwaya.net مكتبة رواية

سألته وهي لا تصدق ما تسمعه :

- هل أنت جاد ؟

- أظن هذا ، فأنا لم أعرض عليك سوى شراب ساخن لا دعوة غرامية .

فاحمر وجهها بسخط ، فتأوه :

- فليساعدني الله ، كنت أقصد من دعوتي إحلال السلام لا العداوة . هيا يا سوزان فلنشرب القهوة .

وضع ذراعها في ذراعه ثم قادها عبر جموع المتسوقين . أشهر قهوة في البلدة تقدم في مقهى يقع خلف دكان الخباز . توقفا في المحل ليختارا «الكيك» المشبع بالكريما قبل أن يتابعا المسير إلى المقهى حيث وجدا طاولة فارغة في الزاوية .

www.riwaya.net مكتبة رواية

دفع نيل وعاء السكر إليها :

- حسنًا ، هذا عظيم .

وضعت ملعقة في فنجانها ، ثم قالت :

- لا تحاول السيطرة علي .

- لم أقصد شيئًا . لا تفهميني خطأ .

حركت الفنجان بالملعقة ثم راحت تتأمل الدوامة التي ولَّدها السائل :

- هل تلومني ؟

مد يده غير الطاولة ليمسك يدها :

- لنعلن هدنة أيتها الساحرة الحلوة . لن أكون حبيبك يومًا . نعم ربما أصبحت صديقك إن سمحت لي .

www.riwaya.net مكتبة رواية

– على أساس أن نصف رغيف أفضل من لا شيء ؟

أيستحيل أن تكون حبيبي ، أشك في ذلك . لدي انطباع بأنك معجب بي .

– أعترف بالتهمة .

ترك يدها ثم أسند ظهره إلى كرسيه وقال بروية :

– سوزان. .. أنت تعدين الساعات السابعة عشرة . أما أنا فقد مررت بها منذ عشر سنين . لا مجال للف والدوران فى أمر كهذا .

– عشر سنوات ليست هوّة كبيرة .

ازدرد قليلاً من قهوته ضاحكًا :

– في مثل هذه اللحظات أعتبر كلامك غزلاً بريئًا . ألم يقل لك أحد قط إن الرجال يرغبون أحيانًا في أن يقوموا هم بالمطاردة ؟

احمر وجهها فقالت بصوت منخفض :

– لكنني أردتك أن تلاحظني .

– وهل لرجل له ميول طبيعية أن يتجاهلك ؟ أنت فتاة رائعة يا سوزان لو كنت أكبر سنًا لاضطررت إلى مقاومتي .

فردت رغم ألمها :

– هذا الكلام يريحنى . أظن أنه علي الذهاب الآن أشكرك على القهوة .

فدفع يده في شعره :

www.riwaya.net مكتبة رواية

– أوه . . . اللعنة . . . ! الأمور لم تسر كما أريد .

– وهل يسير كل شيء كما تريد دومًا ؟

وقفت . بعد أن التقطت حقيبتها ثم انطلقت عبر الطاولات إلى الخارج واختفت .

نزلت سوزان بقلق من السرير ، وقد توقف حبل أفكارها . دنت من النافذة تغلق الستائر على الظلمة القابعة فى الخارج . . . نظرت بقلق إلى حقيبتها الصغيرة التى تحمل فيها أوراقها الخاصة ودفتر مذكراتها وأشياء أخرى . فضلت أن تراجع التقارير أو تدقق في بالفواتير على أن تغرق فى ذكرياتها . لكنها عادت فعدلت عن رأيها بعد أن شكت في قدرتها علي التركيز . فأينما تنظر يبدُ وجه نيل مطبوعًا أمامها ، أسمر مشبعًا بروح الانتقام .

أجفلها صوت جرس الباب يلعلع في المنزل ، فانتابها الذعر لحظات ، لكن تعقلها عاد إليها من جديد . فقد يكون الزائر يقصد ذويها .

بعد دقيقتين أطلت عليها من الباب والدتها تنظر إليها دهشة لأنها رأت سوزان في ثيابها غير نائمة .

– أماندا هنا يا عزيزتي . . . لقد قلت لها إنك قد تكونين نائمة .

أجبرت ابتسامة على الظهور على وجهها :

– أشعر بتحسن كبير . . . سأنزل حالاً .

كانت أماندا تنتظر في غرفة الجلوس عندما دخلت سوزان :

– أيتها المسكينة . . . لم أكن أعرف أنك تعانين من الصداع ، إن هذا فظيع ! لقد لاحظت شحوبك عندما خرجت من المستشفى . لذا أنا هنا ، حقًا . السيدة اتكنز ، المديرة ، لم تتح لها فرصة الحديث معك ، لذلك كتبت لك هذه الرسالة .

– رسالة . . . يبدو الأمر رسميًا ، ما الخطب ؟ أهي رسالة صرف من الخدمة ؟

– مستحيل . . . ثمة طفلة صغيرة مريضة تحتاج إلى بعض العناية . وقد ارتأت السيدة أن تكوني أنت الممرضة المرشحة .

– ومن هي ؟ هل هي آينشتين أخرى ؟

– من يدري ؟ ولكن من الواضح أنها صينية . . . من جهة الأم وهي تحمل اسمًا طويلاً يعني وردة الصباح . . . ولكن والدها يدعوها «روز» .

– والدها . . . أهو أوسترالي ؟

– ربما تعرفينه . . . فلقد تعرف إليه العديد من الموظفين . . . عمه كان يعيش هنا منذ سنوات . اسمه نيل ميرلاند ويُقال إنه عالم بترول رفيع المستوى .

أخفضت سوزان عينيها إلى الرسالة لكن الخط الواضح المرتب فيها أخد يتراقص أمامها ، سألتها أماندا :

– هل تذكرينه يا سوزان ؟

– ربما ، لكنني لا أذكر أنه متزوج ، كم عمر الفتاة ؟

– سبع سنين كما أعتقد . هي فتاة ذكية .

– هذا ما أعتقده .

– تعتقد السيدة اتكنز أن الخير لنا في ألا نتطرق إلى موضوع زواجه لأنه من إحدى تلك الزيجات التي تجري في الغربة بعيدًا عن العقد ومراسم الزفاف .

– أه فهمت .

رفعت أماندا حاجبيها :

– لا تنظري إلي . . . كأنك لا توافقين على العناية بالفتاة .

– أخطأت الظن . أنا أفكر في اللورد ميرلاند وزوجته . وبما كانا سيشعران به لو عرفا بهذا قبل وفاتهما .

www.riwaya.net مكتبة رواية

- نحن لا نعرف الحقائق . لذا فالأفضل أن نبتعد عن النقد فقد تكون علاقتهما شريفة .

- لكن لم اختارتني المديرة ؟

- حسنًا ، أنا شخصيًا أشعر بالشفقة على الفتاة . . . أما السيدة اتكنز فترى أنك الأجدر للقيام بهذه المهمة لأن روز تجيد الفرنسية بينما تجد صعوبة في فهم الانكليزية .

فضحكت سوزان :

- وما علاقتي أنا بذلك .

- ليس في البلدة من يعرف الفرنسية والانكليزية غيرك والفتاة ستحتاج إلى من يكلمها لذا فكرت السيدة اتكنز في

أن توكل إليك أمر العناية بها بضع ساعات . هي لا تحتاج إلى ممرضة دائمة بل من يرعاها بعض الشيء .

بعد خروج أماندا ، سارت سوزان إلى النافذة ووقفت تحدق في الظلام . يبدو أن كل كوابيسها ستتحقق . نيل عاد . . . وعاد ليبقى . وإلا لماذا سعى إلى طلب العون ممن يعرف الفرنسية ؟ إنه دون شك يريد غرس جذوره في هذه الأرض .

لكن ماذا له فيها بعد أن مُنع عنه إرثه . . . هزت رأسها بقلق . تحاول تصور ردة فعله عندما يعرف من سيعيش في منزله القديم . . . يا لسخرية القدر ! تسببت هي يومًا بشرخ بينه وبين عائلته الوحيدة في العالم . وكان هذا الشرخ الذي

www.riwaya.net مكتبة رواية

أحدثته هي بيديها سببًا في حرمانه من إرثه وها هي الآن المستفيدة منه.

ليت نيل لا يبغي من مجيئه إلا الزيارة ، ليته . . . ليته ! ففكرة استقراره في البلدة يراقب روحاتها وغدواتها ، وهي تعيش في منزل عائلته ، أمر لا يطاق .

لكن عليها قبول الفكرة إلا إذا . . . فكرت للحظات في إقناع بيتر بأن يسكنا في مكان آخر ، ثم صرفت الفكرة لأنها ضرب من الجنون . فلو سألته شيئًا كهذا لأصر على معرفة دوافعها . وهي تعلم أنه لن يوافق مهما كان جدالها معه مقنعًا .

طوت رسالة السيدة اتكنز ثم رمتها في النار . . . ما كان عليَّ العودة إلى البلدة . . . أنا ألقي اللوم على بيتر في شيء

www.riwaya.net مكتبة رواية

لم أفعله بنفسي . . . يجب أن أشق طريقي بعيدا عن هذا المكان . . . أسافر ، ما أكثر ما شدَّني السفر واجتذبنى !

تأوهت بصرت مرتفع . . . هل الهرب هو الحل ؟ كانت يومًا جبانة ، لذا هي اليوم تواجه هذا المأزق . لن تكسب شيئًا من الهرب . . . وعليها وهي مضطرة البقاء للمواجهة كائنًا من يكون صاحب المواجهة . . . وهذا سيكون عقابها .

بينما كانت تصعد الدرجات وصولاً إلى غرفتها اقشعر جسدها لأن هذا العقاب لن يروي غليل نيل .

كانت نهاية الأسبوع رديئة . فصباح السبت خرجت لتشتري بعض الحاجيات لأمها . لكنها بدل أن تركز على ما ستشتريه صبت اهتمامها على مراقبة السيارات . راجية أن لا ترى السيارة الحمراء .

بعد الظهرء رافقها بيتر للقيام بنزهة قبل أن يزوروا منزل والده لتناول العشاء . كان والده السير دايفد ، في مزاج رائق جعله يسخى ليلتها لكن سوزان وجدت صعوبة في إزالة التوتر من أعصابها وكيف لها ذلك وهي لا تسمع من الرجلين إلا أحاديث تتعلق بالعمل تعجز عن مشاركتهما إياها .

بعد العشاء انقلب الحديث إلى أمور شخصية . . . أحست سوزان أنها اجتذبت اهتمام السير دايفد ، وأن الجو المرح الذي كان يحافظ عليه قد تلاشي إلى حد ما . كان صوته يشير إلى أنه كان يشك في أن يسمع شيئًا خاصًا لا يريد سماعه . . . لم تكن سوزان قد اختبرت هذا الطبع منه من قبل . وعلمت أن توتره كله يدور حول قصر كوانتون

ورفضها السكن فيه . . . كان دائما يعاملها بلطف ملؤه الرياء . . . قالت له شارحة :

– أترى . . . أنا أعرف آل ميرلاند وفكرة العيش في منزلهم القديم ، وحجم المنزل ، أوهماني . . . هذا كل شيء .

– إذن فهذا نوع من المعارضة يا فتاة . وعليك أن تتعلمي عدم التوهم .

قاطعهما بيتر :

– سوزان تعرف هذا يا أبي ، لكنني لا أريد استعجالها في شيء لا تشعر بالسعادة فيه ، لذلك أعطيتها بضعة أيام للتفكير .

بدا على السير دايفد الاقتناع :

www.riwaya.net مكتبة رواية

– قد ينصفك . لكن لا تتأخري أسابيع في القرار يا فتاة . لئلا يسبقك إليه أحدهم .

فيما بعد ، بينما كان بيتر يوصلها إلى منزلها راحت تأمل في ألا يثير بيتر موضوع القصر ثانية ، ولكن أملها خاب لأنه ما إن توقفت السيارة أمام منزلها ، حتى قال بيتر :

– يجب أن أعطي هنري الرد بشأن قصر ميرلاند . قبل يوم الاثنين يا سوزان . لذا أريد ردك غدًا .

حاولت الابتسام :

– لكن والدك يظن أن هناك قرارًا وحيدًا صالحًا .

– أنت تعرفين والدي . . . أضيفي إلى رغبته فى امتلاك قصر كوانتون إن له مصلحة أخرى خاصة .

– لا أفهم ؟

– علي أن أخبرك يا حبيبتي . . . لقد طلب من مهندس أن يدرس المكان ويرسم له خرائط يتم فيها تحويل الاسطبلات والكاراج إلى شقة فاخرة صغيرة له . هو يقول إن منزله الحالي كبير جدًا بالنسبة لرجل يعيش وحده . لذلك يريد أن يسكن قريبًا . . . قريبًا من أحفاده .

أحست فجأة بجفاف فمها :

– آه فهمت .

– صحيح يا حبيبتي ؟ كنت آمل أن تفهمي . . . إنه يتقدم في السن وهو لن يعيش معنا في الواقع ، فلديه مدبرة منزله .

احتواها بين ذراعيه يعانقها ، لكنها للمرة الأولى لم تكن قادرة التجاوب معه . . . هزت رأسها :

– ما أفهمه أنه دبَّر كل شيء .

كانت داخليًا تشتعل غيظًا ، لان ما يقوم به هو نوع من الابتزاز العاطفى فإذا رفضت قصر كوانتون الآن ، فسيعتبر رفضها إشارة إلى عدم رغبتها في أن يشاركها حماها السكن .

عضت على شفتها . إنها تفهم الآن سبب كرم السير دايفد في عرضه شراء القصر لهما ، وأخذ غضبها يتصاعد .

– سوزان ؟ أنت لن تمانعي ، أليس كذلك يا حبيبتي ؟ إنه رجل عجوز ! قد لا يعيش ليراه . وهو يحبك كثيرًا .

www.riwaya.net مكتبة رواية

ابتسمت متوترة :

- سأقبل بكلمتك . ولن أدعى أننى لم أصدم ، فلم أحسبه يفكر فى ذلك . . . على كل ، الأفضل أن تكمل عملية الشراء ، لآن هذا ما تريدانه كلاكما .

أدار وجهها إليه يبحث فيه قلقًا :

- لكن عليك القبول به .

- لقد وافقت ، ألا تكفيك موافقتي .

- آه يا سوزان أنت فتاة رائعة يقدر المرء على الاعتماد عليها .

- أو أنها شفافة التفكير . . . لم أكن هكذا من قبل يا بيتر . . فحذار ، قد أقلب الصورة .

فضحك :

– لا أظنك تفعلين . . . تصبحين على خير يا حبى . . .

كانت والدتها تشاهد فيلم رعب على التلفزيون عندما دخلت أجبرت نفسها على الجلوس قربها . . . ثم قالت وهي تحاول أن تظهر بمظهر حسن :

– أمى . . . عندما كنت مخطوبة . . . هل ساورتك . . . الشكوك ؟

وجهَّت الأم في هذه اللحظة اهتمامها كله إلى ما تقوله ابنتها غير عابئة بما يجري من أحداث في فيلم الرعب .

– بشأن والدك ؟ لا أظن . . . لماذا تسألين ؟

– ما من سبب . . . أحب أن أعرف ، هذا كل شيء .

www.riwaya.net مكتبة رواية

أمعنت الأم التحديق في ابنتها :

– هل تعيدين التفكير ثانية بمسألة قبول أو رفض الزواج ؟ لو كان هذا ما تفكرين فيه حقًا لاستلزم عقلك بعض المعاينة .

مشكلتكم يا شباب هذه الأيام أنكم تريدون الحصول على كل شيء دون أن تسعوا إلى إنجاح علاقاتكم . . . هل تشاجرتما ؟

شهقت سوزان :

– أوه . . . لا أرجوك يا أمي دعك من الموضوع .

– حسنًا ، أنت من أثرته .

مالت إلى الأمام فأطفأت التلفزيون ، ثم جلست باهتمام :

– والآن . فلنبحث الأمور . هل تعيدين النظر فى علاقتك مع بيتر ؟ وإذا كان هذا صحيحًا . . . فلماذا ؟

عضت سوزان على شفتها :

– ما من شيء محدد بهذا الشأن .

وسرعان ما أخبرت أمها عن رغبة بيتر بشراء قصر كوانتون وخطة السير دايفد ، للسكن قريبًا منهما . لكن أي تأثير لم يظهر على صفحة وجه الأم التي ردت ببرود :

– الرغبة في السكن بعيدًا عن العائلة أمر حديث العهد فعندما كنت شابة ، كان الناس يسكنون مع ذويهم . أما عمك فلن يشارككما السكن في منزلكم بل سيتخذ له مكانًا قريبًا منكما لذا لا أفهم سببًا لهذه الضجة كلها . . . فبيتر

هو ابنه الوحيد الذي لم يبق له في الدنيا سواه . إن السير دايفد رغم ثرائه رجل وحيد .

– وهل تظنيني أنانية ؟

– ليس تمامًا . . . لكنني أراك تستبقين الأمور . . . وكما قال لك بيتر . . . قد يغير فكره بل قد لا يعمَّر إلا سنوات قليلة . إن المنزل يا ابنتي جميل وكبير كنا فيما مضى ندفعك دفعًا بعيدًا عنه . أتذكرين ؟

لعل خير عزاء لها هو وضع رأسها في حضن أمها لتنتحب وتبوح لها بالحقيقة . . . لكنها لم تستطع السماح لنفسها بهذا الدلال . . . وأمها لا تستحق الاكتئاب بعد كل هذا الزمن . . . فزمان الاعتراف قد ولى !

دفعت ابتسامة إلى وجهها ووقفت :

– لا شيء بالتأكيد . . . أنت محقة يا أمي . . . أنا واثقة . أعتقد أن أعصابي تعبة . والآن شاهدي ما تبقى من الفيلم . . . سأذهب إلى النوم لئلا تطالعنى الكوابيس بسببه .

أمضت سوزان يوم الأحد في المنزل ، بكسل . تتصرف بشكل طبيعي . . . وتلاحظ النظرات القلقة التي كانت أمها ترمقها بها . لم تنم جيدًا لذا استفاقت متأخرة صباح الاثنين . كانت تساعد أمها في تغيير ملاءات الأسرة تحضيرًا للغسيل الأسبوعي عندما رن جرس الهاتف .

أجابت بدهشة :

– بيتر؟ ما هذا الوقت الغريب للاتصال ، هل حدث شيء ؟

جاء صوته مليئًا بالسخرية :

www.riwaya.net مكتبة رواية

– اوه . . . لا ! . . . كل شيء على ما يرام في هذا العالم . لكنني ظننتك تودين معرفة أن تضحيتك الفائقة لن تكون مطلوبة بعد الآن .

– عم تتكلم ؟

– لن تضطري للسكن في قصر كوانتون يا حلوتي . لقد اختلسه شخص آخر ، بينما كنت ترتجفين مترددة بشأنه منذ يوم الجمعة .

احتد صوته :

– آلو . . . سوزان . . . أما زلت معي ؟

تمكنت من دفع لفسها للرد :

– أجل . . . ما زلت معك . . . بيتر . . . لست أدري ما أقول . . . أنا آسفة جدًا . لم أعلم مدى رغبتك فى شرائه . . . أتعلم . . . هل لديك فكرة عمن اشتراه ؟

ضحك ضحكة وحشية :

– بالطبع أعرف . . . إنه فى أيد أمينة يا حبيبتي . . . لقد عاد بأمان إلى حضن عائلة ميرلاند . . . كما كنت تتمنين تمامًا . . . عاد إلى يد ابن أخ اللورد . . . نيل أو مهما كان اسمه اللعين . . لقد عاد واشتراة .

3– الصفعة كانت في الماضي

www.riwaya.net مكتبة رواية

أعادت سوزان السماعة مكانها ، ثم وقفت للحظات طويلة ، ومفاصل أصابع يدها تضغط بشكل طفولي على أسنانها . . . أحست بالصدمة . ليس بسبب أخبار بيتر ، بل بسبب الغضب والطريقة الفظة الهازئة التي ظهرت في حديثه ، وفظاظته تلك كشفت لها جانبًا جديدًا من شخصيته .

دخلت إلى غرفة الجلوس وغرقت في مقعل وثير. وهى تحس بالاضطراب . هي قد تقدر سبب ارد الفعل هذا . فبعض الناس في شارلڤيل والقرى المجاورة ، ما زالوا يعتبرون بيتر ووالده من الغرباء وهذا ما يجعلهم لا يتسامحون معهما كما يحدث مع سائر السكان ولا شك في أن بيتر قد أحس أن امتلاكه قصر كونتوان سيبدل هذا الواقع ، فيحدث مع الوقت أن يحتل مكانة اللورد ميرلاند الاجتماعية .

إن كان بيتر قد غضب إلى هذه الدرجة بسبب خسارته القصر فيا ترى ماذا ستكون عليه ردة فعل والده ؟

أحست وسط هذا السخط الذي يعتمل نفس بيتر بالراحة لأنها لن تضطر إلى مجاورة حميها .

أما الآن فعليها أن تخبر أمها عما آلت إليه قضية القصر وعندها ستسألها أمها عن السبب الذي حداها إلى إخفاء أمر عودة نيل ميرلاند وطفلته عنها .

كانت قلقة من مواجية أمها لكنه قلق لا يقارن بذاك الذي تشعر به ليس بسبب إقامة نيل الدائمة في البلدة . لماذا اختار من بين كل بلاد العالم التي عمل وجال فيها هذه البلدة التجارية الهادئة ؟ كيف يطيق العودة إلى المنزل الذي طرد منه بازدراء ؟

عندما يعرف الجميع أنه اضطر إلى أن يشتري منزل عمه بدل أن يرثه ، فمن الطبيعي أن تثار الشكوك . . . وعندها ستتجه كل العيون إليه إن لم يكن لهذا الوضع الغريب فلوضع طفلته اللاشرعي .

نهضت فجأة وقد عنَّ على بالها قرار . . . فمهما كان الثمن . . . يجب أن ترى نيل ؟ وأن تحاول إقناعه بتعديل رأيه . . . ولكن أيمكنها إقناعه بأن لا فائدة من عودته إلى هذه القرية ؟ فإن جاء ليثأر منها فقد تحقق أمله فهيٍ منذ سبع سئوات تعاني من الاحساس بالذنب والأرق .

بينما كانت تسير في شارع البلدة الرئيسي باتجاه الفندق الوحيد فيها وهو المكان الذي تظن نيل ينزل فيه . مرت أولا

www.riwaya.net مكتبة رواية

تحت قنطرة الطريق الذي يوصل إلى موقف سيارات الفندق ،

وهناك شاهدت سيارته الحمراء

المثيرة . فعلمت أنه ليس بعيدًا أبدًا عن هذا المكان .

نظرت موظفة الاستعلامات إليها بريبة عندما سألتها عن نيل

. لكنها تحت إلحاح سوزان اعترفت الفتاة بأنه لم يغادر الفندق

. اتجهت سوزان إلى الطابق الأول حيث تقع غرفة نيل لكن

عيني تلك الفتاة ظلتا تراقبانها

وهي ترتقي الدرجات .

ذات يوم . . . تسلقت درجًا سعيًا للوصول إلى غرفة نيل . .

. سعيًا . . . انتهى بكارثة لكليهما . . . ارتجفت يدها وهي

تدق الباب مترددة .

www.riwaya.net مكتبة رواية

انفتح الباب بسرعة أذهلتها تمامًا . وقفت أمامه فاغرة الفاه متسعة العينين. أما هو فوقف ، طويلاً نحيلاً يرتدي سروالاً من الجينز وكنزة سوداء ذات ياقة مطوية ، ينظر إليها وابتسامة قاسية تلوي فمه . ابتسامة ليس فيها دفء .

– تفضلي بالدخول سوزان .

أشار إليها بحركة مبالغة الاتقان لتتقدمه إلى الغرفة .

– ماذا أخرّكِ ؟

ترددت ، لم تجاوزته بسعرة محنية الهام ، مثارة الأعصاب لمعرفتها بأنه كان يتوقع قدومها .

نظرت باضطراب إلى الغرفة ، تقبض على شفتيها بأسنانها. فشاهدت الفراش المزدوج المرتب ذا الغطاء القطني النظيف .

فهل لهذا أهمية خاصة ؟ لعل وجود نيل هنا أمر مؤقت ، ولعل لروز أمًا لا يعرف أحد في الجوار شيئًا عنها .

لاحظ نيل اتجاه نظراتها فاتسعت بسمته وسألها :

– أمتوترة أنت يا سوزان ؟ لا داعي إلى التوتر . . . من النار . . . أتذكرين ؟

تصاعد اللون إلى خديها الشاحبين وقالت :

– لا . . . أنت مخطىء . . . أنا لا . . . .

– وهل أنا مخطىء ؟ ربما يجب ترك باب غرفة النوم مفتوحًا . . . في حال اضطررت للصراخ «المغتصب» !

فقالت باضطراب :

– لا تتفوه بهذه الكلمة !

www.riwaya.net مكتبة رواية

– ولماذا لا ؟ . . . لقد فعلتها مرة . . . أم ظننت أن هذا سيزول من ذاكرتي ؟ أؤكد لك أنني لم أنس .

– لا . . . لم أظن هذا . . . هل . . . هل أستطيع الجلوس ؟

– إذا أردت . هل لي بمعطفك ؟

أشار إلى كرسيين مريحين يقبعان على جانبي مدفأة كهربائية صغيرة في الجدار. هزت رأسها ، وقد ارتجفت لا إراديا بينما ارتجفت شفتا نيل وهو يراقبها ، ثم تجاوزها ليدير المدفأة .

– هكذا أفضل ؟

– شكرًا لك .

علمت أن لا عذر لها يجعلها تبقى على معطفها . فما كان منها إلا أن فكت أزراره ثم خلعته قبل أن تجلس . . . قال بعد أن راقبها للحظات :

– يا إلهي . . . تحولت إلى سيدة ريفية بشكل تام . . . من كان يفكر بهذا ؟

احمر وجهها ثانية وهي تدفع بضع خصلات سوداء إلى الوراء فتابع :

– نعم . . . التغيير رائع . سامحيني إذا أطلت الحديث عنه، ولكنني احاول مقارنة مظهرك الحالي بالمظهر الذى كنت عليه في لقائنا الأخير ذي الأحداث المشهودة .

سار نحو الطاولة قرب السرير فأخذ سيكارًا من علبة فضية أشعله قبل أن يعود ليجلس على الكرسي المقابل لها . نفخ

غيمة من الدخان ثم راح يتفرس فيها عبر الدخان بعينين ضيقتين .

– أتساءل . . . ماذا حدث لتلك الفتاة ذات السروال الأبيض المطرز ، التي رقصت وكأنها الزئبق ؟ هل رآها خطيبك ، أم أنك دفنتها إلى الأبد تحت كتلة من قماش الكشمير والتويد والأحذية المناسبة ؟

وضعت سوزان أصابعها على خديها :

– أوه . . . أرجوك . . . هل لنا أن ندع بيتر خارج هذا النقاش ؟

فارتفع حاجباه :

– أيمكننا ؟ . . . لا أظن . . . نظرًا للظروف . لكن ربما اسأت فهم دوافع هذه الزيارة ؟

التقت عيونهما في نظرة عميقة كانت سوزان السباقة إلى إخفاضهما.

– أنا لست في مزاج يسمح لي بأن أتكهن ما هي الألعاب يا سوزان . وأنت لم تكونى دومًا متكتمة بشأن مشاعرك ، فلماذا لا تخبريني ماذا يجري في هذا الدماغ الصغير المراوغ ؟

بللت شفتيها يائسة ثم نطقت بكلمات عجولة خائفة:

– نيل . . . لماذا عدت ؟ . . . هل لهذا أي علاقة بي ؟

ساد صمت قصير ، تبعه ضحك ناعم ساخر يحمل نوعًا من الخبث أثار القشعريرة فيها . قال بكلمات خفيفة ، عكس اللهجة التي نطقها فيها :

– أجل . . . يا ساحرتي الحلوة . . . ألم تشكي فى هذا لحظة ؟

أجفلتها كلماته التى جعلتها تمسك ذراعي الكرسى الخشبى بقوة تحول لون أصابعها إلى الأبيض . قالت بصوت مرتجف :

– ماذا ستفعل ؟

نظر إلى طرف سيكاره المتوهج :

www.riwaya.net مكتبة رواية

– لم أقرر هذا بعد . عندما أصل إلى قرار ، ستكونين أول من يعرف به ، أعدك بهذا يا سوزان . وحتى ذلك الوقت. لن. يضيرك أبدا أن تبقي أفكارك معلقة لفترة قصيرة .

مالت إلى الأمام وعيناها تتوسلانه :

– ألا تعتقد أنني كنت معلقة ، لسبع سنين خلت ؟

هز كتفيه دون اكتراث :

– مسكينة يا سوزان . ولكن إن كنت تعرفين أنني سأجيء بحثًا عنك في النهاية ، فلماذا بقيت هنا ؟

– لأنني لم أستطع التفكير بمكان آخر قد أكون فيه آمنة .

سحب نفسًا عميقًا من سيكاره قبل أن يسحقه فى منفضة السجائر قرب كرسيه .

– إحساسك محق ، بالطبع . لأنني كنت سأجدك مهما هربت .

– لم أقصد أن أكون آمنة منك . . . كان على أن أكون آمنة من نفسى .

– وهكذا قررت أن الأمان الوحيد لك هو في البقاء ومواجهة العاصفة عندما تأتي . أهنئك سوزان . لقد كبرت الفتاة الصغيرة أخيرًا ووجدت شجاعتها . تمسكى بهذه الشجاعة أيتها الساحرة الحلوة . . . فستحتاجين إلى كل ذرة منها من الان حتى أنتهي منك .

أحنت رأسها مهزومة وهمست :

– أوه . . . نيل ، ارحمني !

قال بصوت كالسوط :

- كرهتك إياي دون شك . لا يا سوزان . لقد نمت في داخلي مشاعر عديدة تجاهك خلال السنوات المنصرمة ، لكنني لا أستطيع القول إن الشفقة هي إحداها . . .
ستتجرعين الترياق يا حبيبتي ، بالقدر الذي أريده لك !

وقفت وهي توشك على الوقوع من السرعة والدموع المالئة أجفانها . عليها الهرب من هذه الغرفة ذات الجو الخانق الذي يكاد يقضي عليها . مدت يدها لتناول المعطف لكنه كان أسبق منها إليه . فإذا به يرفعه لها عن الكرسي بابتسامة تقول لها صراحة إنه يفهم ما يحثها على الهرب . . . وضع المعطف على كتفيها ثم أبقى يديه عليهما لكن بعد لحظات قليلات

راحتا تتسللان إلى جسدها الغض ، متمهلاً قليلاً عند كل منعطف ، هامسًا بصوت شرير :

– نعم ثيابك تغيرت ، ولكن جسدك لم يتغير . . . أترين . . . ليست ذكرياتي عنك كلها سيئة !

صاحت بإحباط وهي تنزع نفسها عنه وتصوب إليه يدها لتصفع وجهه ، لكنه تجنب الضربة المحتمة بسهولة وأمسك بمعصمها بقبضة جعلتها تصرخ ألمًا .

– لا أنصحك بهذا . . . كما أشك في أنك مستعدة للرد الذي قد يصدر عني .

بعد أن ترك يدها بازدراء وقفت تحدق فيه تفرك معصمها المتألم الذي ظهرت عليه آثار أصابعه .

أخذ ينظر إلى يدها :

– هذا خاتم جميل يا سوزان . . . ولا بد أن يكون الرجل متيمًا بالمرأة كي يضع ماله في هذا النوع من الجمال . . . لو كنت مكانك لأعدته إليه ، أيتها الساحرة الحلوة ، فهذا أشرف وأفضل من أن يطالبك به يومًا .

فقالت بغيظ :

– أيها الخنزير !

ضحك للمرة الأولى ضحكة حقيقية .

– هذه هى سوزان التى أعرفها . ظننتها ماتت عندما دخلت هنا تطلبين الرحمة ، بدل أن تبصقي في وجهي كما فعلت مرة .

ارتدت بغضب نحو الباب ، لكنه منعها وأكمل :

– لقد فاجأتني اليوم عندما وصلت يا سوزان . . . فقد حسبتك تريدين من الزيارة مساعدة خطيبك متوسلة لأتخلى عن قصر كوانتون له .

فشهقت سوزان :

– وهل فعل بيتر هذا ؟ لا أصدقك !

فهز كتفيه :

– أسأليه . فلا يمكن أن ينسى حديثنا . وأنا أشك في أنه عرض على أي شخص هذه الكمية من المال في حياته ثم تلقى الرفض .

رفع حاجبًا ساخرًا :

– وعندما وصلت . . . تفاءلت للحظة معتقدًا أنه بعثك إلي للمتوسط . . . مستغلاً أنوثتك . . .

نظر إليها ثم حول نظر إلى الفراش الكبير وأكمل :

– . . . لتحقيق ما لم يستطع هو وماله أن يفعل . . . لكن الحياة مليئة بخيبات الأمل .

– أنت حقير . . . بيتر لن يطلب مني شيئًا قذرًا كهذا .

–لا ؟ لا تعتمدي كثيرًا على ظنك . فبعد أن تعاملات معه لوقت قصير علمت يقينًا أنه مستعدًا لبيع جدته لينال ما يصب إليه . . . لذا لا أجد من الحكمة الاعتماد كثيرًا على شهامته .

ردت بصوت مرتجف :

– أنت لا تعرف شيئًا عن بيتر .

فضحك :

– وهل يعرف شيئًا عنك ؟ أشك . فأنا في الواقع معتمد على جهله .

قبل أن تدرك ماذا يريد أن يفعل ، مد ذراعيه المديدتين وجذبها إليه حتى , اتحد جسداهما . . . شعرت بالرعب للحظات . . . لكن لما أصبح عناقه أكثر قسوة وتطلبًا دارت الدنيا أمام عينيها ولم يعد هناك في العالم من الحقيقة إلا عناقه وذراعاه .

بدا وكانما ينابيع إحساساتها ، المكبوتة خلال السنوات السبع المنصرمة قد انحلت من عقالها . فامتدت يداها بعجزٍ لتطوقا

www.riwaya.net مكتبة رواية

عنقه أما يداه فراحتا تستكشفان بشكل حميم متعجرف دون أن تظهر سوى الانفعال التام .

ثم فجأة كما بدأ بهما الأمر انتهى . . . فقد سحب يديه عنها ، وأبعدها بقوة كادت تفقدها توازنها .

قال بصوت بارد :

– كنت محقًا كما ترين يا سوزان . . . أنت حقًا لم تتغيري .

صاحت به صيحة احتجاج صغيرة ، ثم ارتدت على عقبيها هاربة . يا إلهي ! ماذا فعلت ؟ لماذا لم تحسب حساب الخطر الذي قد يداهمها عندما تلقاه ؟ كل ما حققته أنها كشفت له إلى أقصى حد مدى هشاشتها وقابليتها للانكسار . . . وهذا ما لم تكن تدركه حتى تلك اللحظة ، لكن ما أدركته صدمها حتى الصميم .

ضمت يديها بقوة ، وأحست بصلابة خاتم بيتر يحفر في لحمها . . . كيف استطاعت أن تسمح لنفسها بالتجاوب معه وهي مخطوبة . . . موعودة جسدًا وروحًا إلى رجل آخر ؟ لقد خانت بيتر وكأنما سمحت لنيل بأن يأخذها إلى فراشه . عليها الآن أن تحذر فقد يكون تهديد نيل حقيقيًا . كانت تعرف منذ البداية أن بيتر لم يكن ليقترب منها لولا موافقة والده عليها فقد وجدها بحسب مقاييس عالمهما «مناسبة» . وهي واثقة من أن السير دايفد تغاضى عن مكانة عائلتها المتواضعة بسبب سمعتها الطيبة . فقد كان والدها عضوًا كبيرًا في مجلس بلدية المنطقة ، ووالدتها كانت رئيسة الجمعية النسائية التي تشرف على المنظمات الخيرية المحلية . . . ولم

www.riwaya.net مكتبة رواية

يكن هناك كلمة سوء تعلق بأي اسم يمت بصلة إلى عائلتهم . . . حتى الآن .

أسندت رأسها إلى ظهر المقعد في غرفة جلوس منزلها . . . وتركت تفكيرها يتسلل بعيدًا إلى الماضي إلى ذاك الصيف البعيد . . . مرحبة بذلك الألم الذي تسببه الذكرى .

عاد كل شيء أمامها للحياة . . . ذكريات أيقظتها تلك اللحظات القصيرة بين ذراعي نيل . . . لحظات أمضت ردحًا طويلاً من عمرها تؤكد لنفسها أنها لن تتكرر .

العرفان بالجميل هو الذي دفع السيد ميرلاند لدعوتها إلى حفلة أقيمت في قصر كوانتون ، وكان هذا جزءًا لا يتجزأ من حملة أعدتها بدقة . فلو أن نيل كان يتجنبها ، فستصل إليه بطريقة ما عبر زوجة عمه .

لم تضطرب سوزان مطلقًا عندما علمت أنها ستكون أصغر من في الحفلة سنًا . وأملت بثقة أن تتغلب على اعتراضات والديها . . .

عندما ارتدت ملابسها ليلة الحفلة ، حبست أنفاسها وهي ترى انعكاس صورتها في المراة فتلك الفتاة التي تطالعها ليست طفلة بل شابة مغرية حساسة ، تعرف ما تريده وكيف تحصل عليه .

خرجت من منزلها إلى سيارة الأجرة المنتظرة دون أن تجد صعوبة فأمها كانت في المطبخ تحضر العصير لعضوات الجمعية النسائية اللواتي يجتمعن عندها ذلك المساء . ووالدها كان خلف المنزل يسقي وروده .

www.riwaya.net مكتبة رواية

لقد دعاها بالساحرة الحلوة . . . حسنًا . . . الليلة ستجعل من هذه التسمية حقيقة . وستسعى إلى سحر نيل لئلا يهزأ بها ثانية . لقد اعترف أنه منجذب إليها . . . لكنه الليلة سيجدها لا تقاوم .

عندما وصلت إلى غرفة الاستقبال ، تأملت ما حولها بعفوية ، تبحث عن نيل بين الناس الضاحكين المتحدثين . لكنها لم تشاهده ، وللحظات أحست بالخوف من أن تتحقق أسوأ افتراضاتها . ثم سمعت شخصا يناديه ، وعرفت إنه كان على الشرفة .

خرجت عبر الأبواب الزجاجية تبتسم بخجل ، ردًا على أشخاص حيوها . عتدما وجدت نيل وسط مجموعة صاخبة ترددت سوزان قليلاً لكنه لما استدار ضاحكًا ليضع كأسه

الفارغ على الطاولة بقربه . . . شاهدها . . . للحظات

ضاقت عيناه . . . أما هي فأحست بالعرق يبلل راحتيها

وفكرت بهستريا : لو ضحك عليها الآن ، لو ردد أية مزحة .

. . فستقتل نفسها . لكن صوته جاءها متسائلاً :

– سوزان ؟

احست بالانتصار . . فابتسمت له :

– نيل .

سمعته يتنفس بقوة ويبتسم دون سخرية :

– لست أدري ما فعلت بنفسك . . . ولكن اريدك أن تعرفي

أنك جميلة جدًا . وكأنك ورده تفتحت براعمها فجأة .

أحست بالدم يتصاعد تحت بشرتها ، مد نيل يده يمررها على وجنتها الدافئة .

وحمرة الخجل تجعل جمالك مكتملاً .

بدا للحظات وكأنه سيقول شيئًا آخر . ثم صاح له أحد أفراد المجموعة التي كان يقف بينها ، فاستدار إليه ، وقال لها :

– يجب أن أذهب . . . لكنني سأطالبك برقصة فيما بعد إذا سمحت .

أبقت سرورها مكبوحًا ، وهي تتمتم بأنها ستنتظره .

منذ تلك اللحظة لم تترك وحدها لحظة واحدة . فقد بدأ الرقص في القاعة الكبرى على الفور وراح الراقصون يترافدون إليها واحدا إثر اخر ، فشعرت بالانتصار وهي ترى أن

www.riwaya.net مكتبة رواية

بعضن الفتيات الأنيقات ، الأكبر منها سنًا كن يقفن بعيدًا دون شركاء يراقصوهن ، لكن نجاحها كله بدا دون معنى لأن نيل لم يكن أحد الشبان الذين راقصوها .

أين هو ؟ لماذا لم يفي بوعده ؟ وما من أحد يهمها سواه.

تلقت عروضًا لا عدد لها بإيصالها إلى المنزل بعد نهاية السهرة وعدد يماثله من دعوات للعشاء ، نزهة ، وكلها أبقتها ضاحكة بعيدة عنها ، فهى بانتظار نيل .

وقُدم العشاء حوالي العاشرة ، لككن سوزان لم تستطع أن تأكل بل تظاهرت بأنها تأكل وتضحك من باب الواجب ، مع أن عينيها طوال الوقت كانتا تبحثان عنه في كل الزوايا .

أين هو ؟ . . . لماذا لم يأت ؟

وأخيرًا لم تعد تحتمل أكثر. تمتمت معتذرة ثم تركت المائدة وعادت إلى القاعة حيث . وجدت أزواج يجلسون على السلم ، يتبادلون الحديث بهدوء . لكنه لم يكن بينهم. عندها خرجت إلى الشرفة . التي ظنت في البداية إنها فارغة ، لكنها لما استدارت إلى الزاوية البعيدة شاهدت الطيف الطويل المألوف لها . . . يحدق في الأفق .

تقدمت منه تلمس ذراعه ، فالتفت إليها بحدة وإذ بها تلاحظ تقطيبة تعلو وجهه لكنه عندما عرفها تبددت التقطيبة قليلاً ، وبدا وكأنه يجاهد للترحيب بها .

– لماذا لا تتناولين طعامك مع الآخرين ؟ لا تقولى أنك تراقبين وزنك منذ الآن ؟

فابتسمت ، واستدارت على نفسها :

www.riwaya.net مكتبة رواية

– وهل أنا بحاجة إلى الحمية ؟

لكنه لم يرد بل عاودته النظرة الكئيبة ، وهو يقول :

– لا . . . لست بحاجة . . . عودى إلى الداخل يا سوزان .

فالجو بارد هنا . . . لقد بدأ الرقص ثانية .

– أنا هنا لهذا السبب . كنت أترقبك لتراقصني ولكنك لم

تقترب مني .

– لم أظن إنك ستلاحظين غيابي في وقت يلتف فيه الكثيرون

حولك .

قفز قلبها بين ضلوعها . . . ربما يحس بالغيرة . . . !

– بالطبع لاحظت غيابك . . فالوعد وعد .

فتردد :

– أنا لست في مزاج يسمح لي بالرقص يا سوزان . . . لهذا يجب أن تعذريني .

فرفعت رأسها بكبرياء :

– حسنا سيدي . . . سترقص خادمتك لك إذن .

كانت الموسيقى تنساب من الداخل : بإيقاع بطيء . . . في البداية كانت تقصد المزاح ، تحاول إخراجه من مزاجه الغريب المتجهم . فإن بعثت إليه الضحكة يذعن عندها إليها فيرافقها إلى قاعة الرقص . لكنه لم يفعل . . . بل وقف يراقبها وهي تستدير وتتهادى أمامه . . . ثم لاحظت أن رغبته تطل من عينيه تدريجيًا ، فتوتر الجو بينهما ، فما كان منها عندئذ إلا إن بدأت تلاحق إيقاع الموسيقى ، تقلل من حركة قدميها ، وتزيد من حركة جسدها ، تحركها غريزتها . .

. وأحست بجفاف شفتيها ، فبللتهما بطرف لسانها ولاحظت أن حركتها زادت توتره . وعند ارتفاع الموسيقى إلى ذروتها وضعت يديها خلف رأسها وأخذت تلوي جسدها نحوه بإغراء متعمد . . . فسمعته يتمتم .

– يا رب العالمين ! . . . سوزان . . . أنت . . .

ولم يعد هناك كلمات ، فقد جذبها إليه يسحق نعومة جسدها الطري فوق جسده القوي ، ويعانقها عناقًا شغفًا متطلبًا غير عابئ بقلة خبرتها بمثل هذا العناق . أما هي فقد شعرت بالصدمة للحظات فبراءتها لم تكن

مهيئة بعد لهذا النرع من العناق ، ثم فجأة استيقظت الأنثى فيها فراحت تستجيب إليه في البدء مع شيء من الخجل ، ثم لم تلبث أن بادلته عناقه بحرارة ملتهبة وعاطفة مشتعلة لم تكن

www.riwaya.net مكتبة رواية

تحلم بأنها قادرة عليها . إذن هذا هو التأثير السحري الذي يكون بين الرجل والمرأة . . . هذه هي الرغبة ، وهذا هو الشوق لتعرف وتُعرف .

وأخيرًا رفع رأسه ، وابتعدت ذراعاه عنها . . . فترنحت باتجاهه متمتمة والشوق لا يمكن أن يُخطأ في صوتها :

– نيل . . .

وضع يديه بقوة على كتفيها :

– سوزان ! هذا جنون . . . وكلانا يعرف هذا أنت طفلة لا تعرف ماذا تفعل !

– علمني إذن . . .

www.riwaya.net مكتبة رواية

– لا . . . ! أنت لا تعرفين ما تطلبين . . . أنت ما زلت طاهرة ، بريئة لذا لا تدعي العكس ولا تطلبي مني إفساد هذه البراءة . . . ابقيها هدية ثمينة لمن ستتزوجينه يومًا .

تركها فجأة قاصدًا قاعة الاستقبال المشعة بالأضواء بينما وقفت وحدها في الظلام يسيطر عليها إحساس واحد . . . إنه يريدها ، لكن الشهامة هي التي منعته عنها . . . وستثبت له إنها جادة غير هازلة ، وإن

رغبتها تماثل رغبته .

دخلت إلى الردهة ثم ارتقت السلالم ، فظن من شاهدها إنها تبحث عن الحمام . . . عندما وصلت إلى ردهة السلم توقفت حائرة فهي لا تعرف مكان غرفته . . . لكنها لم

تشك في أن غريزتها ستدلها ، كما دلها المنطق إلى أنه ذاهب إلى غرفته ليستعيد سيطرته على نفسه .

تقدامت إلى باب غرفة ، استجاب مقبضها لها بسهولة . . . ودخلت .

كان نيل يقف عند النافذة ، مرخيًا ربطة عنقه ، خالعًا سترته فلما سمع حركة الباب التفت عابسًا .

– سوزان ؟ أنا أحذرك ، اذهبي من هنا الآن . عودي إلى الأسفل قبل أن يحدث شيء نندم عليه فيما بعد .

أجابت بثبات :

– لن أندم على شيء . . . نيل ، أنا . . . لقد أتيتك بهدية . . . ألا تريدها ؟

www.riwaya.net مكتبة رواية

ارتجفت أصابعها وهي تفك السترة المطرزة بالشرائط وتركتها تقع إلى الأرض .

تنفس بعمق . . . ثم تقدم نحوها . . . فسارعت للتعلق به دون تحفظ ، فرفعها إلى السرير .

– لقد كنت اتساءل عما ترتدينه تحت هذه البذلة . وسأعرف الآن .

أخذ ينزِع الدبابيس من شعرها ، ويتركه ينسدل ، فمدت يديها لتشبك أصابعها خلف رأسه . . . وأحست بدفء غير مألوف في جسده . . .

فجأة لمع الضوء في الغرفة . وجاء صوت السيدة ميرلاند ، مرتفع اللهجة على غير عادة يصرخ :

– نيل . . . يا إلهي !

تدحرج نيل مبتعدًا عنها وهو يحمي عينيه من النور. كانت زوجة عمه تقف قرب الباب . ويدها مسمرة على زر النور . . . واللورد واقف وراءها .

كانت سوزان للحظات مرعوبة ، مذهولة ، لم سارعت لتغطية نفسها بأغطية السرير . صاح اللورد بصوت راعد من فرط الغضب :

– ماذا يعني هذا ؟ كيف تجرؤ يا سيد ؟ كيف تجرؤ على قلب منزل زوجة عمك إلى . . . ؟ أليس لديك إحساس بالكرامة ؟

ساد صمت طويل . . . ثم رد نيل بهدوء :

– في المستقبل سأتذكر أن أقفل بابي .

هدر اللورد :

– أهذا هو الرد الوحيد الذي تستطيع قوله ؟ أنت تثير اشمئزازي يا سيد ! أتظنني أعمى ؟ كنت دائمًا أعرف أن لك أخلاق قطط الشوارع ، ولكنني ما كنت أقول شيئًا مادمتّ لا تعرض مومساتك أمام زوجتي !

أصيبت سوزان بالشلل تقريبًا من الصدمة ، لكنها لما رأت السيدة ميرلاند تنظر إليها ، قرأت الصدمة والادانة على وجهها .

هزت رأسها بعجز وهى تتمتم :

– سوزان ! . . . كيف تمكنت من الإساءة إلى ضيافتنا هكذا ؟

فشهقت سوزان . . . إنه كابوس . . . لا يمكن أن يحدث . . . ليس لها . . . ليس لسوزان بيل . . . أخذ وجها أبويها يسبحان أمامها . . . أبواها اللذان يحبانها ويفتخران بها . ماذا سيقولان عندما ترسل إلى البيت بمثل هذا الخزي ؟ إنها بفعلتها هذه تدمر ما منحاها من ثقة واهتمام . لا تريد أن تهان وتذل لذا لن تدع ذلك يصيبها .

صاحت بهستريا :

– لا . . . ! لا . . . أنت لم تفهمي . . . إنه هو . . . نيل من جاء بي إلى هنا . . . لم أكن أريد . . . لكنه أجبرني .

أشارت إلى سترتها الملقاة في وسط الغرفة :

– إنه. . . لقد مزق سترتي . . . ظننته قد جن . . . أنا . . . خفت . . . وتوسلت إليه ليتوقف . . . لكنه لم يفعل . . .

بدا الصمت في الغرفة وكأنه لن ينتهي . . . وكأنما أحد منهم لا يتنفس إطلاقًا لكنها لم تستطع النظر إلى نيل .

وجد اللورد صوته وقال بخشونة :

– أتقولين إنك لست راغبة ؟ وان ابن أخي حاول حقًا . . . أن . . . يغتصبك ؟

لقد فات أوان التراجع . أو أوان تصحيح ما قالته . . . لقد بذرت بذور العاصفة ، وسيتبعها الآن الإعصار .

همست بقولها : «أجل» ثم أجهشت بالبكاء . كانت هذه اللمسة الأخيرة لاقناعهما بما ادَّعته . أمَّا صغر سنها وخوفها الظاهر فسيفعلان ما تبقى .

تكلم اللورد بهدوء :

– ستغادر منزلي في الصباح ولا أريد رؤيتك ثانية . لطخت اسم عائلتك بالعار ، وأهنت هذه الفتاة الصغيرة . . . كان على طردك في الحال لولا وجود ضيوفي . فأنا لا أريد أن تشعر زوجتي بالأسى والألم من الاذلال . أليس لديك ما تقوله ؟

كان بقوله هذا وكأنه ينتظر من نيل إنكار ما اتهمته به . لكن كل ما سمعت نيل يقوله :

– لا شيء إطلاقًا يا سيدي . لقد قيل كل شيء وإن كان أكثره قد قيل بشكل مربك .

خاطبها اللورد :

– زوجتي . . . سترافقك ، أيتها الشابة . . . لتتأكد من وصولك سالمة إلى بيتك حيث لن تذكري شيئًا عما حدث . قد أبالغ في طلبي إليك لكنني أعمد على نبل أخلاقك لذا لا تخذلينا .

وانتظر ، ثم قبل هزة رأسها القصيرة بالموافقة :

– رتب نفسك يا نيل . . . ولننزل . . . ما زال ضيوفنا عندنا . لم يحصل شيء هنا . . . أتفهم . . . لا شيء !

– لا شيء !

www.riwaya.net مكتبة رواية

كانت كلمته وكأنها صدى لكلمة عمه ، لكن ذكراها ما تزال تملك القوة لتبعث إلى سوزان القشعريرة ، وإن بعد سبع سنوات .

عادت إلى الواقع . . . اتجهت إلى الحمام لتفتح الماء البارد تغسل به وجهها .

نظرت إلى نفسها في المرآة ، فلاحظت وجهها الشاحب الأبيض . . . وخديها المليئين دمعًا . . . لم تكد تجد فرقًا بين تلك الفتاة التي سارعت إلى ارتداء ثيابها تحت نظرة السيدة ميرلاند المشمئزة . . . وبين تلك الفتاة

التي بكت جزئيًا بسبب الارتياح لخلاصها من مأزقها ، وجزئيًا من الخوف . ولكن الجزء الأكبر كان سببه العذاب والخجل والندم من جبنها .

تلك الفتاة كان لها المبرر لتبكي .

قالت سوزان لنفسها :

– أما الآن فلا مبرر لي . . . لا مبرر إطلاقًا .

بدأت ترش وجهها بالماء . . . وعندما انتهت ، عاد الهدوء لوجهها واختفت آثار الدموع . . . لكن عقدة الذنب بقيت ، وعليها أن تخفيها تحت واجهة باردة عادية . . . على الأقل في الوقت الحاضر . . .

إنما السؤال الذي حيرها كان : إلى متى سيستمر هذا ؟

4– الوجه الآخر لها

مرت الأيام التالية دون أحداث ، مجبرة نفسها على نسيان مشاكلها الخاصة ، مُغرقة روحها في العمل اليومي ، الذي لم تجد فيه أي شيء مثير .

قابلت بيتر ، وخرجت معه في إحدى الليالي لأحتساء القهوة وفي أخرى للعشاء في فندق قديم يقع في قرية مجاورة . لكن لم يكن من المجدي التظاهر بأن كل شيء عاد كما كان بينهما .

مع أنه لم يذكر القصر أمامها ، لكنها عندما أثارت الموضوع مرة ، قال لها بنزق انه لا يرغب في بحث الموضوع .

فهل علم يا ترى بشأن تلك الزيارة التي قامت بها إلى غرفة نيل ؟ احست سوزان بالغيظ من إجابته تلك كما شعرت بعدم الراحة لان علاقتهما يشوبها للمرة الأولى شيء من

www.riwaya.net مكتبة رواية

البرودة . ماذا سيحدث بعد أن يتزوجا ماذا لو رفض بيتر عندها مناقشة وجهات نظرها التي يختلفان بشأنها ؟ فهل سيعني هذا قضاء حياتها في صمت مزعج ؟ سرقت نظرة إليه وهو يوصلها إلى البيت في إحدى الليالي . كانت دائمًا تراه صارمًا ، لكنها الآن بدأت تتساءل بخشونة عما إذا كان وصف «عنيد» ينطبق عليه أكثر . كانت تعلل النفس دائمًا موهمة إياها بأنه أكثر شبهًا بأمه منه بأبيه ، ولكنها الآن لم تعد واثقة من هذا . وكأنما مسألة القصر قد ألقت ضوءًا جديدًا مزعجًا على علاقتهما ، وإذا لم يتكلم بيتر عن الأمر . . . فكيف لهما أن يصلا إلى حل ؟

www.riwaya.net مكتبة رواية

وفي ذروة تشاؤمها ، قالت لنفسها إن الأمر لم يعد يهم . . . وإن كل ما ستفعله محكوم عليه بالفشل بسبب نيل ، الذي لديه القوة لتدمير علاقتها مع بيتر .

تلك الليلة التي أخذها بيتر بين ذراعيه ، تعلقت به ، محاولة طمأنة نفسها . لذا لم تتعرف إلى صوتها وهي تسأله :

– بيتر . . . أما زلت تحبني ؟

نظر إليها بذهول ظاهر :

– سوزان ؟

ضمها إليه معانقًا ، جسده الدافيء يبعث السرور . . . . خلال لحظة مجنونة ، تمنت أن تشعل عاطفتها عاطفته ، وأن يفقد كل سيطرته على نفسه فيطارحها الغرام . فإذا فعل هذا

www.riwaya.net مكتبة رواية

مرة واحدة فستكون واثقة عندها من أنه لن يتركها . . . مهما حدث .

وعدا ذلك ، سيكون بيتر عندها السد المانع لكل الذكريات ، التي عادت لتعذبها . لقد كانت تخجل من الطريقة التي تاقت فيها أحاسيها لنيل . ولطالما أقنعت نفسها بأن هذه الأحاسيس قد مر عليها الزمن ، لكنه أظهر لها في بضع لحظات مدى تعرضها للعطب .

ستتزوج بيتر . . . لذا هي بحاجة لمعرفة ما إذا كان بإمكانها التجاوب معه بالشغف ذاته أو ما إذا كان بإمكانه إشعال رغبتها وإشباع أحاسيسها .

www.riwaya.net مكتبة رواية

كانت خلال دقيقة كاملة على وشك الصراخ من خيبة الأمل ، بعد أن أبعدها بيتر بهدوء ، ولكن بحزم عنه . سألها برقة ، ولمسة تاهل في صوته :

– هل أقنعك هذا ؟

فابتلعت ريقها . . . إذا أطاعت نفسها وقالت « لا »

فماذا سيفعل ؟ هل سيفهم ؟ أفزعها التفكير بأنها غير واثقة ، ومع ذلك فهي ملزمة به .

تلمس حنايا عنقها بأصابعه :

– أيتها السخيفة ! أنا من اخترتك ، وأنت تعرفين هذا ، وقريبًا ستصبحين زوجتي .

– لا ليس قريبًا . . .

كانت تدرك وهي تجيب , أن مسألة المنزل قد أقامت بيتهما توترًا جديدًا . . . فقبل إن يتمكنا من الزواج عليهما أن يجدا مكانًا يسكناه . . . .

مكانًا آخر يعيشان فيه .

جذبها إليه ثانية ، فأراح شفتيه على خدها :

– بل أقرب مما تظنين . . . أنا آسف لأنني تصرفت بقذارة مؤخرًا يا حبيبتى لعل السبب الانتظار . . . فالخطوبة جحيم كما يقول الجميع ، أنا أظن أن علينا أن نحدد الموعد ، رغم الاحباط الذي أشعر به . أتفهمين ؟

أحست بالراحه . . . كيف أمكنها أن تشك فيه ؟ مدت يدها لتلمس خده . . . قالت بصوت دافئ :

– لكن ليس علينا الانتظار طويلاً يا بيتر . . . فإذا كنا نحب بعضنا . . . فهذا هو المهم .

رمت نفسها بين ذراعيه ورفعت وجهها إليه ، محاولة التأكد من التعبير الذي علا وجهه :

– حبيبي . . . هل فهمت ما أحاول قوله ؟

فتنهد طويلاً :

– أوه يا سوزان . . . لا يمكن لك ان تعنى هذا حقًا . . . فمنذ زمن بعيد وأنا أتمسك بهذه المثل . . . أنا بانتظار ذاك اليوم الذي سأرى فيه عروسي مقبلة إليَّ في ثوبها الأبيض الذي هو لون العذارى . وهذا يعني لي الكثير يا سوزان ، فأنا أريد في ليلة زفافنا أن أشعر بأنني أول رجل يلامسك . . . مع أننى ما عدت أحتمل الانتظار إلا أنني أعلم أنني سأنال

جائزتى فى النهاية . فلا تطلبى منى شيئًا قد يفسد علىَّ حلمى .

تصلبت فجأة بين ذراعيه . . . لقد عرضت نفسها عليه ورفض وعندما تكلمت أخذ صوتها يرتجف :

– وأنت يا بيتر؟ عندما نكون معًا فى ليلة الزفاف المثالية التي تخطط لها . . . هل ستكون المرة الأولى لك كما هي لي ؟ أم أن مثلك لا تطلب من الرجال العفة أيضًا ؟

رفع رأسه بحدة لينظر إليها ، فاحست بانزعاجه حتى قبل أن يتكلم :

– ظننك ستفهمين يا سوزان . إنك ناضجة لتفهمي أن قليلاً من الخبرة للرجل أمر ضروري .

www.riwaya.net مكتبة رواية

تخالف الغضب مع الإذلال ، ليبعدها عن ذراعيه ، ولتبتعد عنه قدر استطاعتها :

– لكن هذا لا يجوز للنساء . . . مرحى للمفاهيم المزدوجة !

– لا تكوني سخيفة , فأنت تعرفين أن للمرأة قيودًا عدة , فقد يفعل الرجل ما يريد دون أن يترك أثرًا عليه . . . أما الفتاة . . . أية فتاة شريفة . . . فلا يمكنها فعل هذا .

– آه . . . فهمت . . . لو تماديت معك أكثر . . . لتغيرت كل تصرفاتك نحوى . أليس كذلك ؟

– لا فائدة من هذا النقاش ، فأنت ما كنت لترتكبى شيئًا من هذا القبيل . وما كان ليحدث ذلك بيننا . آه . . . اللعنة . . . أنت تعرفين ما أحاول قوله يا حبيبتى .

– أظنني فهمت . . . أنت تقول أنه مادام لم يمسني رجل بيده أو بمشاعره ، كما هو ظاهر فستستمر في اعتقادك بأننى المثال الأعلى للمرأة . ماذا سيكون عليه موقفك . لو قلت لك إنك مخطىء كثيرًا فى ظنك

بي ؟ وأنني قادرة على الزلل عن الطريق المستفيم كسائر البشر ؟ ماذا تقول عندها ؟

أصابه الجمود . . . وبعد قليل قال :

– هل تحاولين القول إنك عاشرت رجلا آخر ؟

– لا يا بيتر . . . جدالي معك نظري . . . فأنا ما زلت كما تريدني تمامًا .

ضحك ضحكة ملؤها الارتباك :

www.riwaya.net مكتبة رواية

– إذن لماذا كل هذا الجدال بالله عليك ؟ . . . يا إلهي يا سوزان . . . أنا لا أفهمك هذا المساء .

فردت بهدوء :

– لا . إذا فهمت كل شيء عليك التسامح بكل شيء . أليس هذا ما يقال ؟ بيتر . . . هل أنت واثق من أنك تريد الاستمرار في الخطوبة ؟

جذبها إلى ذراعيه ثانية :

– اوه يا حلوتي . . . أحبك أيتها السخيفة وأحترمك فلا تكرهيني لأجل هذا . . . سيكون للانتظار ثمن . . . وسنكون سعيدين . . . أتثقين بى ؟

أرادت أن تقول له إن المسألة ليست في ثقتها به بل العكس . لكنها سمحت لنفسها أن تضمه وتودعه .

لكن ماذا يعني لها حبه بالضبط ؟ سؤال أقلقها ولم يسمح لها بالنوم تلك الليلة . لماذا لم يقل لها إنه يحبها بغض النظر عما فعلته يومًا ؟ وإن الماضي لا معنى له . وإن المهم هو مستقبلهما معًا . وهل للحب أن ينجح ضمن الحدود المتزمتة التي وضعها لنفسه ؟

رفعت الوسادة فوضعتها فوق رأسها لمنع صورة نيل عن الظهور . . . فبسببه أصبحت صورة هذه الفتاة باردة مشاكسة ، تخاف من الزاوية المظلمة التي قادتها إليها مشاعرها . لكنها أطبقت غطاء النسيان على كل

الشباب والكرم في داخلها ، وعرضتها إلى أكثر أنواع النظام قسوة . مع بيتر ، قد تسمح لهذا الكبح بأن يزول مع الزمن ، ولن يكون هناك ضرر في إطلاق مشاعرها لتحبه تمامًا .

يا إلهي ! . . . لا يعقل أن يكون دور المرأة في مفهوم بيتر هو أن تؤدي واجباتها فقط ، وأن تكون مضيفة أنيقة ، وأما ذكية الأطفاله ز . .

صباح الاثنين وقفت أمام مرآة خزانتها تحاول انتقاء ما ترتديه . . . في العادة هذا الأمر لا يحيرها لكنها اليوم تعي معنى الارتباط . لقد كانت تعلم أن نيل سيكون بانتظارها كي يعرفها إلى ابنته .

ازدردت قهوتها بسرعة ، وودعت أمها ثم خرجت لتسير نحو المستشفى . . . كان ذلك الصباح مشرقًا لكنه بارد قليلاً .

www.riwaya.net مكتبة رواية

تباطأت خطواتها عندما رأت سيارة نيل . . . تأخرت قليلاً في غرفة الملابس علها بتأخيرها هذا تتجنب مواجهته . لكن أملها خاب ، فقد كانت أماندا بانتظارها عندما خرجت .

– السيدة اتكنز بانتظارك . . . ومعها مريضتك الجديدة .

كانت أشعة الشمس تدفئ غرفة الرئيسة ورائحة الأزهار تعطرها . عند دخولها رفع نيل نفسه عن أحد المقعدين المواجهين لمكتب السيدة اتكنز ووقف .

لم تبد «روز» منزعجة مما يحيط بها . . . لها وجه شاحر شاحب وعينان سوداوان مائلتان ، أخذتا تراقبان كل ما حولها . لم تكن سوزان معتادة على رؤية أطفال واثقين من أنفسهم كهذه الطفلة . كانت هذه الطفلة

ستبقى بعض الوقت لتجرى لها الفحوصات العامة ولتُعالج .

www.riwaya.net مكتبة رواية

استدارت سوزان لنيل :

– أنا واثقة أنها ستشعر بالأمان هنا .

– لست قلقًا بهذا الشأن . . . إنها طفلة مطيعة . . .

كانت تحس بنظرته الساخرة وهي ترافقه مودعة بناء على طلب الرئيسة . عندما حاولت أن تتأخر لتسير معه أمسك بذراعها فنظرت إليه بغضب وسحبت ذراعها منه ، فقال لها :

– لا تخدعي نفسك يا حلوتي. . . هل نظرت إلى المراة اليوم؟ هذا التنكر الفاضح كامل . . . هل هو على شرفي ؟

– أظنك من يخدع نفسك . . . فأنا أرتدي ملابسي لأرضي نفسي . . . لا أرضي أي إنسان آخر .

– إذا كان هذا الزي يعجبك ، فذوقك إذن يبعث الأسى .

أكمل سيره في الممر إلى جانبها ، ثم تابع :

– منذ زمن لفت نظر رجل يا سوزان ، أما الآن فأنت شوكة في حنجرته

فقالت بغضب :

– لست مضطرة لتحمل إهاناتك .

نظر إليها ساخرًا وهو يفتح الباب المتحرك الموصل إلى الردهة الخارجية ليسمح لها بالمرور أمامه ، ثم قال :

– لكنني أظنك مضطرة .

كانت سوزان قد أحست بخفقان غريب في قلبها وهي تتأمل الطفلة . أي نوع من الحياة تعيشها مع رجل متجول مثل نيل

؟ وكيف تشعر بشأن انفصاله عن أمها ؟ إذ يبدو أن نيل تحمل مسؤولية الطفلة الصغيرة كاملة . . . فأى طفل يعانى من البعد عن أمه ، يحتاج إلى الأمان والاستقرار .

ما إن أوصلته إلى الخارج حتى عادت أدراجها إلى غرفة الممرضات وأغلقت الباب خلفها في وجه الدنيا والمشاكل ، وخصصت فكرها وطاقتها لعملها .

أخذت سوزان تعنى بمرضاها وتطل من وقت لآخر لترى . الطفلة الصغيرة ، فتحدثها وتسليها لتبعد عنها هذه الوحدة التي تطل من عينيها .

في المساء عندما عادت إلى البيت حضرت لها أمها الشاي وقدمته لها في غرفة الجلوس . راحت سوزان تتنشق بقوة وهي تجلس إلى الصوفا تتناول الفنجان الذي قدمته لها أمها .

وضعت الوالدة فنجانها على الطاولة دون أن تمسه وقالت بهدوء :

– لم تخبريني عن الطفلة الصغيرة التي دخلت المستشفى اليوم يا سوزان .

– لم يكن الخبر مهمًا بالنسبة لى .

– أليس مهما أن لنيل ميرلاند بنتًا آسيوية غير شرعية ؟

صوتها كان مليئًا بالخزي . . . فدهشت سوزان بصراحة :

– ومن أخبرك بكل ذلك ؟

– السيدة بيترسون . لقد اتصلت بعد الظهر وقالت أن إبنتها جولي الممرضة لم تتحدث خلال نهاية الأسبوع إلا عنها وقد

www.riwaya.net مكتبة رواية

دهشت عندما علمت أنك لم تذكري الأمر وأنت من سيعنى بها .

– أعتقد أنه كان علي أن أعرف أن السيدة بيترسون لن تدع فضيحة دون أن تتقصى أخبارها .

فتنهدت أمها :

– أوافقك الرأي ، فهذا يحدث تسع مرات من أصل عشرة . لكن لا تنكري أن اسم عائلة ميرلاند على المحك . . . وهذا ما يجعل الأمر مثيرًا للاهتمام . أنا سعيدة لأن المسكينة السيدة ميرلاند ليست حية لترى ماذا فعل ابن شقيق زوجها في حياتها . لقد كانت فخورة باسم عائلتها وكذلك كان اللورد .

– لكن اللورد توفي أيضًا ، ونيل اشترى قصر كوانتون ، الذي ، سيستقر فيه .

تجرّعت السيدة بيل المعلومات الجديدة بصمت ، ثم قالت :

– إن ما قام به عبارة عن عدم اهتمامه بمشاعر الاخرين . فهذه ليست مدينة كبيرة حيث يُنظر إلى زلات المرء بتساهل . . . . بل هي بلدة صغيرة قديمة الطراز . . . . أجل . . . . ورجعية في أفكارها الناس يهتمون بأشياء تسمى الأخلاق . . . وتصرف نيل سينظر إليه العديد من الناس هنا على أنه إهانة لذكرى عائلة ميرلاند .

– أوه يا أمي ! . . . إن احدا لا يعرف ما إذا كانت روز غير شرعية أم لا حتى أنا لا أعرف .

ردت أمها بمرارة :

– ولكن نيل اعترف . لقد التقت به السيدة بيترسون في السوق وسألته عن الفتاة . ثم سألته متى سيأتي بزوجته . ورد نيل أنه لن يتمكن من فعل هذا ، لأنه غير متزوج ولم يكن متزوجًا من قبل .

خرجت من سوزان ضحكة لا إراديًا وقالت :

– ليتني شاهدت وجهها عندئذ .

– لا تشمتي بل أشفقي على تلك الطفلة البريئة .

– لا داعي إلى شفقتك يا أمي فالفتاة ستشفى قريبًا . فمرضها يحتاج إلى بعض الوقت ليس إلا . لن تمكث في المستشفى إلا قليلاً .

نظرت إلى أمها فوجدتها غارقة في أفكارها :

– أنت لا تصغين إلي يا أمي ؟

– أنا آسفة يا عزيزتي . . . كنت أفكر فقط .

– فيم ؟ تبدين شاردة .

– فيك وفي بيتر . أنا جد مسرورة بخطبتكما . أنا لست عمياء يا سوزان ، وأعرف كل شيء عن علاقتك به منذ سنوات ، وكنت قلقة عليك . وأحسست براحة البال عندما سافر .

جمدت سوزان في مكانها ثم قالت ببطء :

– ومع ذلك لم تذكري شيئًا . . . حتى الآن !

– لأنني لم أعرف ما أقول . كنت أخشى إن تشاجرنا أن ترحلي بعيدًا . . . ثم بدت المشكلة قد حُلت ، ثم أصبحت

www.riwaya.net مكتبة رواية

فجأة ناضجة ، لذا لم أجد حاجة إلى ذكره . لكن بعد حديثى مع السيدة بيترسون بعد الظهر ، تذكرت القلق الذي كنت عليه خلال الأسبوع الماضي ، وتذكرت الشكوك التي أثرتها ، فأحسست بالخوف . لا ترتكبي حماقة يا سوزان ، أتوسل إليك . أمثال نيل ميرلاند يعيشون على استغلال الخلافات.

نظرت إليها سوزان بسرعة :

– لم أكن أعلم أنك تكرهينه إلى هذه الدرجة .

فتنهدت الأم :

– أنا لا أكرهه يا سوزان . . . إنه يخيفني . . . ويجعلني لا أشعر بالراحة ، لم أكن مرتاحة مطلقًا ذلك الصيف الذي أمضاه في البلدة . كنت قلقة عليك ، مع أن والدك كان يقول دائما إنه لن يجرؤ على تجاوز الحدود . ولا أستطيع إلا

أن أفكر بتلك الفتاة المسكينة أم الطفلة . . . ويقودني التفكير إلى أنه كان يمكن أن تكوني أنت الأم .

– لا يا أمي . . . هذا مستحيل .

فتنهدت الأم بارتياح :

– أنا سعيدة . . . ليس من السهل تربية البنات ، وستعرفين هذا يومًا . هناك أوقات تريدين فيها أن تفرضي عليها بعض الأشياء لكنك لا تجرؤين لأنك مضطرة لاحترام خصوصياتها . أنا سعيدة لأنك ستذهبين مع بيتر مرفوعة الجبين فإنك لم تقومي بما قد توبخين نفسك عليه .

وقفت سوزان ، شاحبة الوجه :

www.riwaya.net مكتبة رواية

– وبيتر مسرور أيضًا . أنتما تفكران بالطريقة ذاتها في أمور عديدة . . . لكنني لا أشارككما الرأي . ربما ليس بيني وبين نيل ميرلاند , علاقة لكن لدي الكثير لأوبخ نفسي عليه . . . ولعل أحد هذه الأشياء هو عدم مشاركته الفراشي يومًا .

فصاحت أمها مذهولة :

– سوزان ! أنت لا تعرفين ما تقولين .

هزت سوزان كتفيها ثم أستدارت إلى الباب :

– إذا كان هذا يريحك ففكري كما تشائين . . . ولكن أنا مقتنعة بكلامى . . . أرجو أن تعذرينى الآن . أرجوك .

في غرفتها ، غرقت في فراشها منهوكة ، تحدق في لوحة الزهور المعلقة على الجدار دون أن تراها . إذن لقد كانت أمها تعرف أن ابنتها تلاحق نيل ومع ذلك أخفت معرفتها .

ربما كان عليها أن تخبر أمها عن ليلة الاحتفال وما تلاها ، فلم يكن من العدل أن تحمل فتاة مراهقة عقدة الذنب وحدها طيلة هذه السنوات . لكنها فى ذاك الوقت كذبت على اللورد وزوجته لتحمي أمها من انكسار القلب إن علمت بتصرف ابنتها الشائن . أما الآن فبدا لها أن تلك الكذبة كانت دون فائدة .

تنهدت مرتجفة ، ثم خللت أصابعها في شعرها . . . إنها بكذبتها تلك لم تحم أحدًا . . . كل ما فعلته أنها أخرت

موعد تصفية الحساب لسبع سنوات . لكنها لن تتاح لها فرصة الخلاص ثانية .

5- دفعة على الحساب

في الأسبوع التالي تغيَّر الطقس فجأة . فضرب السُعال والرشح البلدة . لم تستغرب سوزان عندما علمت أن روز من المصابين بالرشح فهذه الفتاة الضعيفة البنية بسبب المرض ، لها عظام كعظام العصفور ، وكان

والدها قد جاء منذ يومين فأخذها إلى المنزل بعد أن وجدها أفضل حالاً .

خلال مكوث الفتاة في المستشفى اعتنت سوزان بها خير عناية ، وفي أحيان كثيرة كانت تجالسها وتحاول تسليتها .

قالت لها السيدة اتكنز :

– اتصل السيد ميرلاند يطلب ممرضة تعنى بابنته في المنزل لأنها ترفض العودة إلى المستشفى . لذا تساءلت عما إذا كان بمقدورك الذهاب إليها لساعات قليلة .

كان هذا المطلب عاديًا جدًا لكنها وقفت لحظات دون حراك . . .

علمت سوزان أن الرئيسة تراقبها ، ثم سألتها :

– ثمة مشكلة ؟

– لا . . . لا أبدًا سأكون سعيدة بعيادتها في المنزل . . . هل هي . . . هما يسكنان الآن فى الفندق ؟

– لقد انتقل السيد ميرلاند إلى قصر كوانتون ، ظننتك تعرفين هذا . يبدو أنها تعاني من ضعف صدري . . . وأخشى أن تجد هذا الطقى متعبًا إلى أن تعتاد عليه .

عندما تركتها الرئيسة ، جلست ثم راحت تفكر : كانت تعتقد أنها آمنة منه ، فهو قد لا ينفذ تهديده . ربما كان يحس أن وجوده في البلدة ، وإقامته في المنزل الذي كان مقررًا أن يكون منزلها في المستقبل ، عقاب

كافٍ لها .

لكنها اكتشفت الآن أنها كانت مخطئة . وأن مرض الطفلة هو جزء من شرك عنكبوت يلف عليها . وقفت متنهدة ،

www.riwaya.net مكتبة رواية

وبدأت تجمع الكتب التي اختارتها لروز . فالصغيرة دون شك بحاجة إلى ما يسليها .

رغم وجود سبب حقيقي يجعلها تقصد القصر إلا أن قلبها راح يخفق وهي تسير في الطريق الداخلية الموصلة إلى قصر كوانتون بعد انتهاء عملها في المستشفى ذلك اليوم . ولكن المنزل ليس لها ، ولا بد أنها تخدع نفسها لو تخيلت أنها على الرحب والسعة فيه .

بعد لحظات تردد ، قرعت الجرس . . . ثم لم يمض إلا وقت قصير حتى فتح الباب ووقف فيه نيل منتظرًا .

ارتفع حاجباه ، وكأنه ينظر إلى من يحاول أن يبيعه شيء على الباب :

– هل لي بمساعدتك ؟

حدقت فيه متحدية :

– أريد رؤية روز . . . لو سمحت .

ارتد قليلاً لتتمكن من الدخول إلى الردهة :

– بالطبع.. لم أكن أعلم أن المستشفى توفر خدمة سريعة كهذه . . . فأنت لم تكوني مضطرة الحضور بسرعة .

فهزت كتفيها :

– أريد معاينة روز . . .

– ما هذا الاخلاص . هل تمانعين لو صعدت معك إليها ؟ أنا أظهو لها الحساء . روز في غرفة نومي . . . وأنا واثق من أنك تذكرين الطريق إليها .

عندما استدار مبتعدا. أخذت سوزان ترتقي السلالم وحدها وقد خلت من السجادة الحمراء التي كانت تغطيها . . . في الواقع بدا المنزل كله بائسًا مهجورًا بأرضيته العارية ونوافذه الخالية من الستائر .

كان عليها أن تجمع كل قواها لتدخل غرفة النوم . . . دخلت وهي تتوقع أن تجدها كما كانت . لكنها وجدتها كسائر البيت ، ليس فيها إلا سرير صغير ، استلقت روز عليه مستندة إلى الوسائد . وتقدمت إلى السرير بابتسامة تشجيع وجذبت الكرسي لتجلس .

ابتسمت روز لها ، ثم مدت لها يدًا نحيلة ساخنة لتصافحها . . . بعد ذلك أصغت باهتمام ظاهر إلى حديث سوزان ،

ولكن سوزان كانت تحس أن اهتمامها مرده إلى الكياسة والاحترام ، أكثر من أن يكون مرده إلى الحماسة الحقيقية .

أحست سوزان بالهزيمة وهي تنهض مغادرة بعد ساعتين .

كانت تأمل أن تتسلل خارجة دون أن يلحظها أحد . ولكن نيل كان يقف عند باب غرفة الاستقبال ينتظرها :

– لقد صنعت بعض القهوة .

– شكرًا لك . . . ولكن لا .

– اوه . . . لا تكوني حمقاء . . . أمامك مسافة طويلة للسير ؟ كنت سأوصلك لولا خشيتي من ترك روز وحيدة . فهي تكره أن تكون في الفراش ، وعلي مراقبتها دائمًا .

– إنها فتاة مطيعة .

تقدمت بتردد ظاهر لتتجاوزه إلى غرفة الاستقبال التي كان فيها طاولة لعب ورق صغيرة وبضعة كراسي تستخدم عادة في الحديقة .

– إنها كجميع غرف المنزل فارغة . إنها شبح لذاك القصر ، لكنني لست مضطر لاخبارك هذا . . . صحيح ؟

أعطاها كوبًا كبيرًا مليئًا بالقهوة رغبت في أن ترميه في وجهه لكنها كانت تعلم أنها في مكان منعزل . . . فقالت :

– شكراً لك .

وأخذت الكوب منه وارتشفت قليلاً منه بتلذذ . بدا وكأنه قرأ أفكارها .

www.riwaya.net مكتبة رواية

– أجل أستطيع صنع قهوة لذيذة . . . كما أن الحساء الذي أحضره مشهور . . . هل أقدم لك شيئًا منه ؟

– هذا مستحيل .

– كنت أظنك ستقبلين كرم لعيني روز . إنها تحس بالوحدة هنا . ورفقة الأنثى قد تبعث إلى قلبها السرور . . . على كل يجب أن أفهم أن لأخلاصك في عملك حدود .

– في ظروف أخرى كنت سأبقى لتناول العشاء مع روز . مع أنني لا أظنك قاصرًا عن صحبة الإناث والإتيان بهن إلى القصر .

فقال ساخرًا :

– هه هه . . . احذري أيتها القطة الصغيرة ، فمخالبك بدأت تبرز . لكن لا تقلقي . . . فأنا أعيش حياة ناسك في هذه الأيام لأنني مشغول جدًا بأشياء أخرى .

أجالت نظرها في الغرفة :

– تقوم بالأعمال المنزلية كما أعتقد .

– لا . . . بل مشغول في حوار عملي هذه الأيام . سأحول منطقة الاسطبلات إلى أماكن سكنية .

سقط فك سوزان إلى الأسفل :

– هذا ما كان . . .

لكنها ابتلعت ما كانت ستقوله . فنظر إليها نيل ساخرًا :

www.riwaya.net مكتبة رواية

– تابعي يا حلوتي . كنت ستقولين إن هذا ما كان يفكر فيه حماك . أعرف هذا . لكنني واثق من أن وجهات نظرنا بشأن ما ستحويه هذه المساكن مختلفة .

– لكنك بالتأكيد لا تستطيع تنفيذ ما تريد هكذا؟ فقد يكون المنزل والأملاك لك ولكنك تحتاج إلى ترخيص .

ارتشف قليلاً من قهوته ، وهو يبتسم :

– هل ستبلغين عني كونك مواطنة صالحة . . . لا تهدري وقتك سدى . فعمي كان قد فكر في هذا المشروع سابقًا وحصل على ترخيص منذ سنوات .

فهزت كتفيها :

– هذا ليس من شأني .

www.riwaya.net مكتبة رواية

– متى كان يوقف أي شيء المرأة عن حشر أنفها في ما لا يعنيها . قد ينسى المرء عندما يكون غائبًا كم أن الألسنة مستعدة للقيل والقال في بلدة كهذه .

– أستغرب عودتك !

– لا . . . لا تستغربي يا سوزان ، فلطالما عرفت أنني سأعود ، وأنت تعرفين السبب أيضًا .

– هل عدت لتعطي الألسنة سببًا آخر للقيل والقال ؟

– لكن هذا محتم . وأنا أعرف جيدًا أن أي حركة أقوم بها تتم مراقبتها بدقة .

فقالت بمرارة :

www.riwaya.net مكتبة رواية

– حسنًا . . . ليس لك إلا أن تلوم نفسك . . . لماذا قلت للسيدة بيترسون إنك لست متزوجًا . . . جاعلاً بذلك الألسن تلوك سيرتك . أتحب أن تصبح شؤونك فجأة محط اهتمام الجميع ؟

بدا عليه أن اهتمامه قد ازداد بما قالت . . . ثم استرخت أساريره وضحك :

– تأكدي أن أخطاء المرء ستلاحقه . ومع ذلك فماذا باستطاعتي أن أقول لها ؟ فقد كانت ملهوفة لسماع فضيحة .

ارتشفت ما تبقى من قهوة باردة ثم هبت واقفة :

– حسنًا ، لقد فات الأوان الآن . . . لعلك في المرة القادمة ستفكر قليلاً فيما قد يحدثه كلامك بالناس الأبرياء .

كانت تفكر بروز ، لذا لم تكن مستعدة بعد لردة فعله حين سألها :

– بمن تفكرين . . . ؟ بعائلتك . . . أم بخطيبك ؟

فحدقت فيه :

– لم أكن أعني هذا .

فقاطعها بحدة :

– أذكر أنك في المرة الأخيرة توسلت من أجل نفسك وبما أن توسلك لم ينفع تحاولين الان التخفي وراء الناس . . . ومع ذلك لن تستفيدي فالناس يتأثرون دائما بمثل هذه الأشياء ، ولا يمكنك منع هذا. وكما قلت لي بكل وجه حق منذ لحظات : ليس لك إلا أن تلومي نفسك .

ابتلعت ريقها بصعوبة وأحست بالغثيان . . . منذ لحظات ظنته أكثر إنسانية ، وها قد عاد ليكون الشيطان الشرير . . . القادر على تدميرها متى شاء .

وقف بدوره . ولاحظت أنه أصبح بين الباب وبينها . فهمست ، تحارب تصاعد ذعرها :

– دعني أذهب .

وضع يديه على خصره ، ينظر إليها بسخرية ثم سألها :

– مم الخوف ؟ من أن أنفذ بك انتقامي هنا والآن ؟ لا تخشي شيئًا ، فأنا أنام حاليًا على سرير للمخيمات ويكاد يحمل وزني ، وفكرة الاستلقاء معك على الأرض تبرد عاطفتي . . . لذا فأنت آمنة . . . في الوقت الحاضر .

لم يكن في وسعها سوى النظر إليه شاحبة الوجه ، خافقة القلب . . . فتابع :

– اوه . . . لا تنظري إلي بذهول يا ساحرتي الحلوة . لا شك في أنك تعرفين غريزيًا أن جزءًا من الثمن الذي ستدفعينه لي هو إكمال . . . بدأناه منذ سبع سنوات .

وبسرعة ولدها اليأس ، تجاوزته راكضة نحو الباب . انزلقت أصابعها فوق المقبض الذي تبلل من العرق ، ثم فتحت الباب وأصبحت في الردهة الخارجية . ولكن نيل أصبح إلى جانبها . . . يسير دون عجلة وهو يقول :

– ما رأيك بهذا دفعة على الحساب ؟

ثبتها إليه حتى لا تستطيع الحراك ، ثم أحنى رأسه الأسود إليها ، وأطبق عليها يعانقها .

عندما رفع رأسه ثانية ، كانت أنفاسه مقطوعة أكثر من أنفاسها ، والشياطين ترقص في عينيه .

– فليذهب الانتظار إلى الجحيم . فأنا أريدك سوزان . . . أريدك الآن في هذه اللحظة .

كان عقلها يصرخ «لا» بينما جسدها يقول العكس رغما عنها ، طوقت ذراعاها عنقه ، ثم أغمضت عينيها في دعوة صارخة .

في البداية ظنت أن هذا وليد مخيلتها . . . لكنها بعد قليل . سمعت صوت عويل طفل مذعور :

– نيل . . . نيل .

بدا صوته كالتأوه :

www.riwaya.net مكتبة رواية

– روز !

قبل أن يتركها أمسك رأسها بين يديه وكأنما يريد أن يحفظ قسماتها . . . ثم تركها واستدار إلى السلم . فصاحت :

– هل أستطيع فعل شيء ما ؟

فالتفت إليها وقد انقلب إلى غريب معاد !

– لا . إنها إحدى نوبات السعال . إنها تتقيأ الآن . . . باستطاعتي الاهتمام بها .

ثم أبتسم بمرح :

– لو كنت مكانك لركضت هاربًا . لأن الفرصة سانحة لي .

www.riwaya.net مكتبة رواية

وقفت بضع لحظات مسمرة وهي تظن أن ساقيها لن تطيعاها. ثم سارت مترنحة نحو الباب . كان الهواء في الخارج باردًا مما جعلها ترتجف وهي تخطو نحو الظلام .

وجدت بيتر بانتظارها في المنزل . فقال لها متوترًا وقد انضمت إليه في غرفة الجلوس :

– لقد تأخرت . أين كنت ؟

– زرت طفلة صغيرة ة في منزلها . إنها مريضة مصابة بالتهاب صدري .

– تبدين وكأنك كنت راكضة . . . نفسك مقطوع . . .

صدقًا يا سوزان . . . ثمة أوقات تتصرفين فيها كالطفلة .

www.riwaya.net مكتبة رواية

خلعت معطفها وعلقته على ظهر الكرسي . قالت بخفة مفتعلة :

– الركض هو الوسيلة الوحيدة ليجد المساكين السائرين على أقدامهم بعض الدفء في أمسية كهذه .

– لكن هذا غير وقور .

– وهل يهم ؟

– أن لا آبه في الوقت الحاضر . . . لكن في المستقبل سيمنعك مركزك . . . يجب أن يكون عندك سيارة . ألديك رخصة قيادة ؟

– نعم لدي واحدة . لكنني لست بحاجة إلى سيارة . فالمسافات التي أقطعها خلال الأسبوع لا تستأهل . فأنا

أحب السير ، وأحب الركض ، أما مركزي فسأفكر في شأنه عند الحاجة .

– حسنًا .

لهجته المتصلبة أعلمتها بأنه غاضب ، فتقدمت منه ولفت ذراعها على خصره وقربت خدها منه وقالت متوسلة :

– لا تغضب . . . لقد كانت مفاجأة سارة أن وجدتك هنا ، بينما كل ما تفعله انتقادي !

فتنهد والتفت ذراعاه ، حولها :

– آسف يا سوزان . لقد مر علي يوم متعب بالعمل . . . مشاكل مع الاتحاد العمالي من جديد لذا لن أبقى للعشاء . . . فوالدي يريد تقريرًا وافيًا عن لقائي بالاتحاد وعلي أن أذهب

www.riwaya.net مكتبة رواية

. لقد طلب مني ، زيارتك ، فهو سيقيم حفلة عشاء يوم الثلاثاء القادم ستضم خمسة أو ستة أشخاص ونحن نريدك أن تقومي بدور المضيفة . . . فهل ترضين يا حبيبتي ؟ ستتمرنين بذلك على دورك الجديد .

فابتسمت له :

– التمرين يوصل إلى الكمال . . . ؟ هل سأكون هناك للديكور أم يريد والدك أن أختار الطعام والشراب وأنظم الزهور ؟

– بالطبع لا . . . فمدبرة المنزل ستقوم بهذا العمل أما المطلوب منك فأن تكوني جميلة كما أنت . سآتي لأرافقك حوالي السابعة . . . ليباركك الله يا حلوتي . . . والآن يجب أن أذهب .

وقفت على أطراف أصابعها وقبلته على خده :

– لا تذهب . . . بإمكان التقرير أن ينتظر قليلاً . فلقد قلت لي مرارًا إنك المسؤول عن العمل الآن . . . وإن والدك ليس سوى الرئيس الفخري . . . ألا يمكن أن تقول له إنك ستتدبر هذه المشكلة ، مهما كانت . بنفسك ؟

فضحك متوترًا :

– كنت أود سماع ردة فعله لو قلت له هذا ! أنت لا تملكين أية فكرة عما يجري ؟ قد نواجه إضرابًا عامًا إذا لم نكن حذرين . . . ولوالدي سنوات خبرة مديدة في معالجة مثل هذه المفاوضات .

كان يمكن لسوزان أن تقول المزيد ، لكنها علمت أن من الحكمة الصمت . فشركة روسمان ذات سمعة سيئة . فعلاقتها

مع العمال عبر السنوات الماضية كانت رديئة والسبب كما يقال بصراحة هو تصرفات

السير دايفد . كان العمال المحليون يأملون في تغير تصرفات الإدارة بوصول بيتر إلى المسؤولية ، ولكن يبدو أن أصبع السير دايفد لا يزال ثابتًا فوق العمل .

أوصلت بيتر إلى الباب ، فودعته ثم قصدت المطبخ ببطء فوجدت للمرة الأولى أباها قد سبقها إلى المنزل يجلس إلى طاولة المطبخ يدخن الغليون وصحيفة المساء أمامه . أما أمها فقد كانت مشغولة بالطبخ لكنها التفتت بابتسامة ترحيب عندما دخلت سوزان .

فكرت فجأة وهي تجلس إلى الطاولة بجانب والدها . . . هل حان الوقت لتبوح لهما بذاك السر ، طالبة منهما الصفح والمساعدة والتفهم .

نظرت إلى والدها الذي عبس بشدة لشيء قرأه في الصحيفة ، ثم وجهت طرفها إلى هدوء أمها وهي تعدل حرارة الفرن وتنظر في أوعية الطبخ . . . فخانتها شجاعتها .

تنحنحت :

– لقد . . . اضطررت إلى زيارة إحدى مريضاتي .

لاحظت سوزان ظلالاً خفيفة تعبر وجه أمها :

– أجل . . . إلى الطفلة الصغيرة روز ، لقد أخبرتني بذلك ابنة السيدة بيترسون .

– هل حضرت جولى إلى هنا ؟ هل جاءت لتقول لك هذا فقط ؟

– اوه لا . . . فأمها المسكينة مصابة بنزلة صدرية وبما أنها لن تستطيع حضور اجتماح الغد ، جاءت جولي لتعطيني دفتر محاضر الجلسات . فكان أن ذكرت هذا في كلام عابر.

– يا لطيبتها .

لم تكن جولي قط صديقة لسوزان . فثمة خبث في طبع الفتاة الأكبر سنًا كان يبقيها بعيدة عنها . . . ولطالما أحست بأن جولي تعي هذا الأمر وتكرهه .

طوى السيد بيل الجريدة وقال :

– إذن كنت في قصر كوانتون ؟ هل أراك نيل خرائط الانشاءات فى باحة الاسطبلات ؟

أرجوك يا إلهي لا تدعني أحمر خجلاً ! فوالدتها كانت تراقبها .

– لا . . . لكنه ذكر المشروع أمامي بشكل عارض .

قالت الأم :

– حسنًا كان نيل دائمًا قانونًا بحد ذاته . ولكن ما لا أفهمه لماذا يشتري منزلاً جميلاً كهذا بينما هو ينوي العيش في اسطبل قديم .

فرد زوجها :

www.riwaya.net مكتبة رواية

– هذا يتوقف بالطبع على الخطط التي وضعها لذلك المنزل

.

قالت السيدة بيل وهي تباشر بسكب الطعام :

– أتعرف شيئًا . . . فهل هو سري أم بإمكانك اطلاعنا عليه .

– لا شيء سرى بشأن الأمر . لقد كتب للجنة التخطيط والبلدية كاشفًا كل أوراقه . ولقد تحدث كذلك مع شركة الإعلانات. وهو ينوي أن يقلب الأملاك إلى مركز مغامرات ، أو شيء من هذا . . . مسابقات قوارب في النهر ، الصيد سيرًا على الأقدام . . . تسلق الضخور . . .

سألت السيدة بيل :

www.riwaya.net مكتبة رواية

– لكن هذا النرع من الألعاب غير مطلوب في الجوار .

فضحك الزوج :

– إنها ليست رياضة للمحليين ، بل هي للشبان الذي سيجيئون من المدارس ونوادي الشباب من كل البلاد . . . هذا إذا حصل على التصريح . فأنا أرى كثيرًا من المعارضة على المستوى المحلي . . . ولكن إذا أوصل الأمر إلى المحافظة فسيحصل على ما يريد . ومع كل احترامى يا سوزان , لا يمكنني أن أتصور والد بيتر يقوم بهكذا مشروع . . . ألم يسعى لشراء هذا القصر؟

وقفت سوران بجهد . . . فأخيار أبيها صدمتها لأنها لم تنصور قط أن لنيل هذا الميل والاهتمام . . . إنها لا تعرف عنه إلا القليل بل هي لا تعرف عنه شيئًا . . .

www.riwaya.net مكتبة رواية

كادت تنسى لو لم يذكرها أن السير دايفد هو الرئيس القوي للجنة التخطيط في البلدية . ردت بهدوء :

– صحيح . . . كان سيشتري القصر لأعيش فيه وبيتر عندما نتزوج .

نظر إليها والدها نظرة جافة من فوق نظارته :

– أنت لم ترغبي في السكن في مثل هذا المخزن الضخم أليس كذلك يا صغيرتي ؟

قاطعته الأم وهي تضع الصحون على الطاولة :

– ما هذا القول ! إنه منزل جميل .

– يحتاج إلى ثروة لتدفئته . . . بيتر وسوزان ليسا بحاجة لبدء حياتهما وحجر طاحون مثله في رقبتهما .

فاحتجت زوجته :

– تتكلم وكأن بيتر شخص عادي . إن له مركزًا يجب أن يحافظ عليه وهو إلى ذلك قادر على تحمل التكاليف .

رد عليها السيد بيل وهو يضع بعض البطاطا في صحنه :

– بيتر يتقاضى راتبًا من والده كجميع الموظفين في الشركة . . ووالده مالك كل شيء ، وبيتر وسوزان لا ينويان العيش من جيبه الخاص . . . على ما أظن .

نظر إلى سوزان ، فابتسمت بقلق تهز رأسها نافية . فهي لا تريد أن تعترف أمامهما بأن هذا بالضبط ما يفكر فيه بيتر . لقد حاولت كثيرًا أن تفهم منه ما سيكون عليه وضعهما الحالي عندما يتزوجان لكنه كان يتملص من الموضوع ، مفضلاً الإصرار على تخليها عن وظيفتها بدل تقديم الحقائق

لها . . . حتى السيارة التي يقودها ، كما اكتشفت هى ملك للشركة ، ويبدو أن بيتر يعتبر الوضع طبيعيًا . أما الآن فقد صدمتها كلمات أبيها وحركت فيها وترًا حساسًا .

ظهر لها فيما بعد تلك الليلة وهي مستلقية في الفراش ، أن كل مقاييس بيتر في الحياة مرتفعة ، وهي تشك في أن يكون مستعدًا للتخفيض منها . . . عند هذه الفكرة القلقة استغرقت في النوم .

ليلة حفلة عشاء السير دايفد ، ارتدت سوزان ملابسها بعناية . . . كانت قد غسلت شعرها فور عودتها من المستشفى ، وجففته حتى أصبح ملتفًا حول وجهها . . . ثم ارتدت تنورة من المخمل الأحمر تصل إلى الأرض ووضعت فوقها قميصًا

أسود حريريًا ذا ياقة مجوفة . ثم تحلت بقلادة أثرية ورثتها عن جدتها .

كانت سيارة بيتر تقفف عند الباب عندما نزلت السلم . فابتسم لها بإعجاب حار ، وهي تفتح الباب له . قبلها على خدها بحذر محاولاً عدم إفساد زينتها :

– أنت رائعة سوزان . لكنك شاحبة قليلاً . . . هل أنت متوترة ؟

– لا . . . أبدًا .

كانت هادئة جدًا وصامتة عندما توجها إلى منزل روسمان . لكن بيتر لم يلاحظ شيئًا من وجومها . فقد كان يتحدث بحماس . عن نجاحه مع الاتحاد العمالي ، ونجاح المشروع الذي

ينفذه . . . لم يسألها قط عن عملها عندما كانا يخرجان وقد اعتادت على تصرفه الذي يوحي لها بأن عملها مؤقت .

انعطفت السيارة إلى الطريق الداخلية للمنزل فتوقفت أمام باحة عريضة مرصوفة بالحصى أمام المنزل . ساعدها على النزول ، وسارا إلى الداخل معًا .

عندما دخلا كان السير دايفد يقف وظهره إلى مدفأة غرفة الاستقبال .

رمق سوزان بنظرة شاملة ، ثم هز رأسه .

ما أراحها كثيرًا هو رؤية الضيوف الذين تعرف معظمهم وهذا يعني أنها لن تحتاج إلى مسايرة خصوم العمل .

www.riwaya.net مكتبة رواية

لاحظت مدبرة المنزل تطل من الردهة تنتظر الإشارة لتقديم العشاء . . . فوبخها السير دايفد بحدة :

– ليس الآن يا امرأة . لمَّا يصل أحد الضيوف بعد ماذا أخر الفتى ؟

وقبل أن ينهي كلامه تقريبًا قرع جرس الباب . . . وضعت سوزان كأسها من يدها ووقفت تبتسم لتستقبل الضيف القادم . . . لكنها جمدت ، وانحسر الدم عن وجهها من فرط الصدمة . فقد تعرفت إلى الشخص المديد الأنيق الواقف بالباب ، مرتديا بذلة العشاء الفاخرة .

– مساء الخير سوزان .

أخذ نيل يدها ورفعها إلى شفتيه بلياقة مبالغ فيها .

– ما هذا السرور غير المتوقع .

ردت عليه :

– لمن ؟

قادته عبر القاعة إلى حيث يقف حموها . يا ترى ما الذي حدا السير دايفد إلى دعوته ؟ أيأمل في إقناعه ببيع قصر كوانتون . لماذا لم يذكر لها بيتر أو والده أنه سيكون بين الضيوف ؟

قال له السير دايفد :

– بالطبع تعرف خطيبة ابني ؟

– نحن صديقان قديمان . . . وأنا أتطلع إلى توطيد معرفتنا .

فضحك السير دايفد بقلق :

– كن حذرًا يا فتى ! فأمامك ولدى لتحسب حسابه . ما

رأيك يا سوزان ؟

المها وجهها من جراء الجهد الذي تبذله لتبتسم :

– نيل يحاول أن يكون استفزازيًا .

فابتسم نيل وقال بنعومة :

– إنها عادة سيئة . . . لا أدري من أين تعلمتها ؟

كانت تدرك أن السير دايفد يراقبهما بحدة . أحست بالراحة عندما آن وقت الذهاب إلى قاعة الطعام . لكن عذابها كان في بدايته . . . فلسبب ما كان نيل هو ضيف الشرف . ماذا ستفعل الآن وقد جلس قربها على

المائدة ؟

بينما كانت الصحون توزع إثر الطبق الرئيسي قال لها نيل بصوت منخفض تبدو فيه التسلية :

– يجب أن تحادثيني . ألا ترين أن السير دايفد ينظر إليك منذ خمس دقائق .

نظرت إليه متوترة ، فقال ناصحًا :

– استرخي . . . فأنا لا أنوي إمتاع الموجودين بإخبارهم شيئًا عن آثامك . . . لذا بإمكانك التمتع بوجبتك .

فهمست :

– لماذا جئت ؟

– لأنني مدعو من قبل السير دايفد الذي يبدو مصرًا على تقديم عرض آخر لشراء القصر . بدا لي من الانصاف أن أعطية الفرصة .

– لكن هل لديك نية البيع ؟

– أبدًا . لكن ستمتعني رؤيته يزعج نفسه بي . . . إنها تكتيكات روسمان العجوز . يضع فخًا للضحية ، يلهيه بالطعام والشراب حتى يقع ، ثم ينقض عليه . إنها طريقة وحشية لكنه يجدها فعالة .

ابتسم لها بكسل :

– أهي الطريقة نفسها التي استخدمها بيتر عندما طلب يدك ؟ أم أنه أعلن فجأة الاندماج ؟

فقالت ببرود :

دعنى من سخريتك . . . فيتر يحبنى كثيرُا .

رد ببرود أكثر :

– ليتك مخطئة . لأنه سيكون تعسًا جدًا عندما آخذك منه .

تحركت يدها وكأنما تهم أن تصفعه ، فغطاها بيده وحذرها بصوت منخفض .

– كونى حذرة . . . فقبطان الأعمال يوجه أنظاره إلينا . وربما علينا التركيز على ما يقال عن الصيد منذ فترة .

تمكنت من الاسترخاء قليلاً عندما تناولت القهوة مع النساء وحدهن فى غرفة الاستقبال حيث راحت ترد على الاسئلة الموجهة لها بشأن موعد الزفاف . كات عليها الاعتراف بأن

www.riwaya.net مكتبة رواية

«لا» لن يحددا بعد موعدًا وأن «نعم» إنهما يبحثان عن مكان ليعيشا فيه .

قالت لها السيدة آلن وهي امرأة طويلة نحيلة شقراء الشعر:

– لكنني ظننت أن المسألة قد سويت بعد أن ارتأى السير دايفد سكنكما معه فى هذا القصر .

وضعت سوزان فنجان القهوة بعناية من يدها وأجابت بهدوء ، وقلبها يخفق :

– ليس حسب علمي .

فتابعت السيدة آلن :

– أوه . . . أنا واثقة من كلامي ، فقد أخبرني السير دايفد أنه يستشير مهندسًا في هذا الصدد ويخطط لفصل الجناح

www.riwaya.net مكتبة رواية

الغربي من القصر عن القسم الآخر منه فيحوله بذلك إلى شقة منفصلة لكما .

ضحكت ضحكة اصطناعية . . . وأكملت :

– شبان هذه الأيام مدللون . . . يحصلون على كل شيء جاهزًا . أليسوا كذلك اليانور ؟

اليانور سلومان ، امرأة ممتلئة الجسم متسلطة وهي رئيسة مجلس القضاء المحلي . أعادت فنجانها إلى الصينية ورمقت سوزان بنظرة فاحصة ثم قالت بطريقة جافة :

– هذا إذا كان ما يُعطى لهم جاهزًا هو فعلاً ما يريدونه . أعتقد أننا تكلمنا بما لا دخل لنا فيه .

ربتت على يدي سوزان بخفة :

– لا تظهري هذه الدهشة يا عزيزتي . . . فهو لا يفيد . . . على كل . . . ربما أسأنا فهم نواياه .

التفتت إلى زوجة رئيس دائرة الصيد المحلي ، وقالت :

– أنا دهشة من وجود نيل ميرلاند هنا الليلة . . . لقد سمعت أنه عاد وامتلك قصر كوانتون كذلك . فهل يعني هذا أن ما كان سبب ابتعاده من نقض للعهد قد زال .

علمت سوزان أن السيدة سلومان قد غيرت مجرى الحديث متعمدة ، لطفًا منها لتجنب إحراجها . . . لكن سخرية القدر جعلت تلك السيدة الحسنة النية تختار الموضوع الأكثر إزعاجًا لها .

انحنت فوق الصينية لتملأ فنجان السيدة آلن ، أملة أن يبرر هنذا احمرار وجهها .

www.riwaya.net مكتبة رواية

قالت السيدة آلن :

– نقض للعهد ؟ تجعلين الأمر يبدو مثيرًا للاهتمام يا عزيزتى . . . فماذا حدث ؟

فهزت السيدة سلومان كتفيها :

– لا أحد يعرف . سطحيًا ، كل شيء كان يبدو على ما يرام ، ثم فجأة غادر نيل القصر ، وإذا كان بالإمكان تصديق الشائعات ، فإن اللورد رفض ذكر اسمه فى حضوره ثانية .

قالت زوجة مدير الصيد :

– ما علمته أن هذا العداء آلم زوجة اللورد . . . لقد كنا صديقتين وصدمت جدًا عندما أخبرتني أنهما سيقفلان القصر وينتقلان إلى المدينة . لم تشر أبدًا إلى الخلاف . لكنها ذكرت

www.riwaya.net مكتبة رواية

مرة أنها سعيدة لأنها تركت البيت الذي لم تعد تطيقه . إن العداء ضمن هذه العائلة لمحزن . أذكر أننى حضرت حفلة في القصر قبل أن يحدث كل هذا . . . . كانت أمسية رائعة . . . ثم في غضْن أسابيع ، أقفل القصر وبيع الأثاث .

التفتت إلى سوزان مبتسمة :

– كنت هناك ذلك المساء . أليس كذلك يا عزيزتي ؟ أذكر أنك بدوت جميلة وناضجة . ألم تكن أمسية رائعة ؟

احست سوزان بوجهها يجمد :

– أجل . . . . أنها . . . . لقد كانت أمسية ممتعة .

صاحت السيدة آلن متعجبة :

– وكأنما تتذكر ! يا عزيزتي كان هذا منذ سبع سنوات .

وسوزان مر عليها مئات الحفلات منذ ذلك التاريخ .

ابتسمت لسوزان ابتسامة لم تكن قادرة على مبادلتها إياها .

قالت السيدة سلومان ، التي كانت مستغرقة في التفكير :

– بالطبع . . . لقد توضح لي سبب الخلاف . . . . النساء . . . لقد كان ليل دائمًا جذابًا . . . وكان هناك الكثير من اللغط عن غزواته .

– بالطبع . . . وأنا واثقة من أنك محقة ولا بد أن هذا كان محرمًا وبغيضًا لدى اللورد . فلقد كان يفتخر بأنه من رجال الجيل القديم . لذا لم يخف مطلقًا اعتراضه على حياة نيل كلها . لكن زوجته المسكينة كانت تعالج الخلاف بين العم وابن الأخ في أكثر من مناسبة .

www.riwaya.net مكتبة رواية

قالت السيدة سلومان مفكرة :

– أتذكرين مارييت شونغان . أعتقد أن ما كان بينهما لم يعد العلاقة العابرة إذ كان نيل بكل بساطة يلعب . قالت زوجة مدير الصيد بأسف :

– لكنه لعب مرة أكثر من الجد .

التفتت إلى سوزان ، وحاجباها مرفوعان :

– أنتم الشبان كنتم تعرفون كل شيء يجري ، فهل كان في حياته علاقة سرية مع فتاة . . . ومن هي ؟

6– هى بين ذراعيه

ساد صمت لا نهاية له . . . بللت خلاله سوزان شفتيها بيأس ، وهى تعي النظرات الفضولية التي ترمقها بها السيدات الأكبر سنًا ، لكن عضلات حنجرتها المشلولة لم تطيعاها. ثم . . . وكأنما استجيبت صلواتها غير الملفوظة . فقند تناهت إليها أصوات الرجال ثم انفتح باب غرفة الاستقبال ، ليدخل الرجال إليها .

صَبُّ القهوة طازجة ، وإضافة الحليب . . . وتحمل بعض الإطراءات الثقيلة من الرجال . . . أنقذ سوزان مؤقتًا .

بعد القهوة ، اقترح أحدهم لعبة «البريدج» فأجفلت سوزان لأنها لا تعرف أكثر من قواعد اللعبة ، لكن احتجاجاتها

www.riwaya.net مكتبة رواية

ذهبت سدى ، فقد وجدت لفسها تلعب مع بيتر ومدير الصيد وزوجته .

أما السير دايفد ونيل فلم يلعبا إذ اقترح السير دايفد عليه الانسحاب إلى المكتبة ، فتردد نيل قليلاً ثم وقف . عندما مرَّ بقرب سوزان ، أرسلت له نظرة طويلة متوسلة . . . فارتفع حاجباه ، والتوى فمه قليلاً قبل أن يتبع السير دايفد . . . فارتجفت يداها عندما انغلق الباب وراءهما .

لم يطل وقت اللعب ، لأن الزوجين ربحا بسهولة منهما . لما نظرت إلى بيتر ورأت وجومه علمت أنه لم يسرُّ من طريقتها في اللعب .

قال لها بعد أن أصبحا وحدهما :

– ما بالك يا سوزان ؟ بدوت غير مدركة للعب . ولن تتعلمي أبدًا اللعب السوي يا حبيبتي إذا لم تركزي .

فاعتذرت ، وهي تعلم أن إجادتها للعبة البريدج أمر يفرضه عليها مركزها الاجتماعي الجديد . لكنها بدأت تجد ذلك مشكلة أخرى أمامها .

سألها قلقًا :

– هل أنت واثقة من أنك على ما يرام ؟

– كل ما أريده كوب شراب يرطب جوفي . . . مسكين يا بيتر . . . هل بددت لك أحلامك .

جلب لها كوب شراب آخر :

– لا ، لكن بالله عليك كوني حذرة ، فكل شيء يتوقف على تماسكك .

– أعرف هذا . . . لا تقلق يا بيتر ! فلن أتصرف بما يسيء إليك . لكنني قد أحتاج إلى شراب أقوى من هذا إذا كنت سأضطر لمشاركة والدك السكن .

انتفض عرق في جبينه ، والتوى فمه قليلاً ، وهو يتمتم :

– لم اركِ بهذه الحالة من قبل . . . سنناقش هذا الموضوع فيما بعد فالسيدة آلن تراقبنا . . . بالله عليك تماسكي يا سوزان ، أنت تتصرفين كطفلة هستيرية .

– صحيح . . . فأنت لم تر مني هذه الصورة من قبل . . . والسبب أنني كنت أكذب . . . أكذب أكذوبات فظيعة

مضرة . أما الليلة ، فأنا أشعر بأنني أميل إلى الصدق بشكل لا يصدق .

– لست أدري عما تتحدثين سوزان . لكنني أنصحك بالتماسك بسرعة قبل أن يصل والدي الذي لن تسره رؤيتك على هذه الحال .

فردت بسخرية :

– لا . . . هذا غير معقول . . . .

التقت نظرته المتعجرفة بنظرة منها مماثلة . . . فاستدار وانسحب .

www.riwaya.net مكتبة رواية

أحست سوزان بحرارة غير مألوفة تجتاح جسدها . . . وبدأت تحس بالخفة وعدم الاكتراث. فهي للمرة الأولى عرفت معنى الاستخفاف بالقيم .

انفتح باب غرفة الاستقبال ليدخل السير دايفد . . . بدا من نظرة عفوية إليه أن المضيف الكريم الخلق قد اختفى هذا المساء . وحل مكانه الرجل الذي يؤمن بالحصول على ما يريد على طريقته الخاصة ، الرجل الذي لا يقبل قول «لا» بتساهل ، لكنه في هذه اللحظة بدا في حالة غريبة .

فقد قال لبيتر دون أن يقدر ضيوفه :

– أتعرف ماذا يخطط ذلك الأبله اللعين ؟ إنه يخطط للسماح لحفنة من الأولاد بالانطلاق على هواهم في البلدة . . .

www.riwaya.net مكتبة رواية

مدمرين أفضل مكان لصيد السمك في النهر . . . ضمن صفقة !

ساد صمت قلق ، ثم وقفت زوجة مدير الصيد لتعلن بدبلوماسية أنها تشعر بأن عليهما أن يذهبا . . . بدا صوتها وكأنه أعاد إلى السير دايفد رشده . . . حاول جاهدًا أن يستعيد دور المضيف، فرافق الضيوف حتى الباب ليودعهم بدماثة ولطف .

بقيت سوزان وحدها في غرفة الاستقبال . . . وهي تعلم أن شجارًا سيقع ، لكن هذا لم يبدُ لها مزعجًا كما كان سيبدو في مطلع الأمسية . فقد وجدت أنها تكبح الضحك وهي تلتقط زجاجة المشروب . . . أطبقت يد على يدها وقال نيل :

– ألا تعتقدين أنك شربت بما فيه الكفاية ؟

– أيها المفسد ! لم أعد خائفة منك .

– هكذا إذن . فليكن يا سوزان ، إذا كان هذا ما تريدينه . لكن دعيني أصبه لك . كيف تريدينه ؟

– دون ماء .

أشارت إليه بأصبعها قائلة :

– أنت وقعت في ورطة . . . أتعلم ؟

فضحك :

– لم تأتيني بشيء جديد . . . لكنني أخشى أنك ستتحملين جزءًا من غضبه . فبما أن والدك رئيس دائرة التخطيط في المنطقة ، فهو كان يعتقد أنه كان عليه التلميح له بما يجري .

www.riwaya.net مكتبة رواية

شهقت بسخرية :

– أوه . . . يا عزيزى . . . سأنبذ الآن . . .

– حياة المنبوذ ليست صعبة . وأنا أتكلم عن خبرة سابقة ، تفهمينها بالطبع ! عليك أن تتأكدي من شيء واحد هو أنك لست مهجورة .

التقت عيناها بعينيه فشعرت بدوار لم يكن سببه حالتها العصبية فقد اخترقت قشعريرة حارة حلوة كيانها .

علمت بكل ثقة أنه لو مس أطراف أصابعها فستصبح قطعًا متناثرة .

فأغمضت عينيها وقد تملكها الخوف . . . لا هذا مستحيل فهو عدوها الذى قد يدمر حياتها إذا استطاع . . . فإن

حصل عليها ، فليس لإرضاء رغباته فقط ، بل لأشباع شهوة انتقامه. وما دامت تتذكر هذا فستبقى بأمان .

– أنت هنا إذن !

دخل السير دايفد من الباب يمسح وجهه بمنديل ، مقطب الجبين راعدًا :

– يا لهذا الولاء يا فتاة ، كيف تتركيني أعرف شيئًا كهذا من غريب ؟

أطلق على نيل نظرة غاضبة . . . فرفعت سوزان ذقنها وسألته ببرود :

– ولماذا أنت منزعج ؟ فما سمعته الليلة أعلمني أنك ما عدت آبهًا بالقصر ، فأنت تخطط لأن نسكن معك هنا .

فرد السير دايفد بعنف :

– لكن هذا لا يعني أنني سأقبل بالرعاع من أبناء المدن يعيثون فسادًا على باب داري تقريبًا . . . إنها فكرة مجنونة ، وأنا أحذرك أيها الفتى . . . عليك أن تحاربني في كل خطوة تخطوها في مشروعك هذا .

رفع نيل حاجبيه بكسل :

– أنا لم اشك في هذا قط . . . سير دايفد . . . ولحسن الحظ ، أنك لست العضو الوحيد في لجنة التخطيط . . . أقله ليس بعد .

جاء الرد غير الحكيم :

– إنهم يفعلون ما آمرهم به .

www.riwaya.net مكتبة رواية

استدار إلى سوزان .

– وأنت ستفعلين ما امرك به أيضًا . فتوقفي عن النظر إلى بتكبر يا فتاة . . . فلم أشأ أن تسكني في قصر روسمان . لكن ثمة أمور كثيرة شجعتنا على ذلك .

فقالت بتصلب :

– اوه . . . إنه يبقينا معًا تحت إمرتك . . . اهنئك على هذا .

تبع بيتر والده إلى الغرفة ، كان يقف بصمت خلال النقاش ولكنه أدخل نفسه فيه :

www.riwaya.net مكتبة رواية

– سوزان ! هل لي أن أسألك أين يمكن أن نسكن في غير هذا القصر ؟ لقد فتشت في كل المنطقة ، ولم أجد شيئًا يفي متطلباتنا . . . وأظن أن والدي كريم جدًا . . .

برقت عينا سوزان . وصاحت بانفعال :

– أنت تفوق والدك كرمًا . . . ألم يعنَّ على بالك أن تسألني رأيي إن كانت المنازل التي فتشت عنها صالحة أم لا . . . ثم ما هي تلك المتطلبات الأساسية ؟ هل تتناسب زوجتك مع هذا التصنيف أم لا . . . فتاة لطيفة موافقة ، تعرف مكانها جيدًا ؟ هل ستضعني على الرف مع بقية الخردوات ؟

بدا أن بيتر تحول إلى قطعة حجر ، لكن والده كان أقل ذهولاً . فقال معلقًا بقوة :

– حديث جميل ولطيف . . . لا ريب فى إنك انضممت إلى جمعيات المرأة المتحررة . حسنًا . . . الليلة فتحت عيناي ، وهذا ما أقوله لك .

– وكذلك أنا .

ما عادت تستطيع سوزان التراجع . فغضبها جعلها لا تعبأ بشيء .

– لقد اكتشفت الان كيف يكون المرء عبدًا . . . وأتساءل أين هو مركزي في حسابات آل روسمان . . . من الموجودات النافعة أم من العوائق ؟

فدمدم السير دايفد :

– ستكونين محظوظة جدًا إن ورد اسمك فقط في كل هذا !

تكلم بيتر مهدئًا ، ولمحة يأس تشوب صوته :

– أبي . . . سوزان مضطربة ولا تعلم ماذا تقول . . .

– كيف تكون مضطربة وهي في منزلي تلقى أفخم معاملة حلمت بها في حياتها . . . أنا لست أعمى أو مجنونًا !

دقت مدبرة المنزل على الباب ثم أطلت برأسها منه :

– آسفة يا سيدي ولكن حارس الورشة على الهاتف ، يطلب إعلام السيد بيتر بأن هناك مندوبين عن النقابة يمنعون عمال الليلة من دخول الورشة .

بدأ السير دايفد يشتم ثم التفت بعنف إلى بيتر :

– لقد ظننتك قلت إن الوضع تحت سيطرتك ؟ هل أنا مضطر لمعالجة كل الأشياء بنفسي ؟

www.riwaya.net مكتبة رواية

– لكنني ظننت أن الأمور سويت .

ذكرت سوزان للحظات أن بيتر قد انقلب إلى طفل صغير معاقب .

أرعد صوت السير دايفد من جديد :

– حسنًا الأمور لم تسوَّ . . . سيدة مارشال ، اتصلى بالورشة وأخبريهم أننا قادمان .

بذلك صُرف النظر عن المشاكل الخاصة ، وأخذ السير دايفد ، كما ظهر بوضوحِ ، يفكر في المعركة التي ستواجهه مع العمال .

قال بيتر بعجز :

www.riwaya.net مكتبة رواية

– سوزان . . . أنا . . . والدى يحتاجنى . . . هل أستدعى سيارة أجرة ؟

فوقف نيل متكاسلاً عن المقعد الكبير أمام المدفأة :

– لا حاجة لهذا . . . سأوصل الانسة بيل إلى منزلها .

عض بيتر على شفته ، مترددًا وكأنه لا يستسيغ طعم الحل المقترح . . . فردت سوزان بحدة :

– لا . . . الأفضل أن تطلب لي سيارة أجرة . . . أرجوك .

قاطعها السير دايفد بلهجة تحتوي القليل من الخبث السابق :

– أنت بحاجة لدرس في الأخلاق أيتها الشابة . . . اقبلي العرض شاكرة ، ألا ترين أننا مشغولان ؟ أضيفي إلى ذلك أننا

قد لا نجد سيارة أجرة تقبل المجيء إلى القصر في مثل هذا الوقت من الليل وإن وجدنا قد يطلب السائق ثمنًا باهظًا .

حدقت إليه سوزان وهي لا تكاد تصدق أذنيها ، ثم تركت الغرفة لتحضر معطفها . . . وعندما عادت ، رأت نيل بانتظارها في الردهة ، يبتسم لها بسخرية . . . أشار برأسه إلى باب غرفة الاستقبال المقفل .

– تكتيكات سحق إضراب الاتحاد تجرى في الداخل . . . ولا أظنهما سيفتقدان إلينا لو تسللنا بهدوء .

قالت له متحدية ، متجاهلة ألم رأسها ودوارها ، وساقيها غير المطيعتين :

– لن أذهب برفقتك . . . أفضل السير عائدة إلى البلدة بقدمين حافيتين على الركوب معك .

رفع حاجبيه :

– هل ستفعلين ؟

وقبل أن تدرك ماذا ينوى ، انحني ليضع ذراعه تحتها ثم حملها بين ذراعيه وكأنها طفلة صغيرة . . . راحت تركله بغضب وقد ظنت أنه سيحملها إلى السيارة . . . لكنها في اللحظة التالية وجدت نفسها على الأرض ثانية ، ونيل يضع بكل عفوية حذائها في جيبه ، ويقول بنعومة :

– دعينا نرى كيف ستذهبين حافية القدمين .

www.riwaya.net مكتبة رواية

تركها خارجًا من الباب ، نازلاً السلم ، ثم اتجه إلى حيث تقف سيارته .

استبد بها الغضب إلى درجة جعلتها عاجزة عن الحراك أو الكلام والتفكير . . . ثم ركضت خلفه تكاد تتعثر بأطراف تنورتها الطويلة ، كانت تحس بأحجار الدرج وكأنها قطع من الثلج تحت قدميها ، لكنها كانت أفضل بكثير من ملمس الحصى الذي واجهته عندما وصلت الطريق . كان نيل في سيارته ، والمحرك يتكتك بهدوء . . . فرفعت رأسها بشموخ . ثم حثت خطاها محاولة عدم إظهار الألم .

لكنها قبل أن تصل إلى اخر الطريق الداخلية كان عقبا قدميها قد تشققا . ولم يكن هذا التشق مشكلتها الوحيدة ، لأن دوارها ازداد حدة حتى باتت عاجزة عن السير في خط

مستقيم . حاولت رؤية الخط الأبيض على الطريق لتسير عليه ، ولكن الخط بدأ يتصرف بشكل غريب . . . يشكل منعطفات ، وأشياء معقدة ، ويتلاشى أحيانًا ، فقررت تركه . وصاحت بالخط الأبيض دون وعي :

– أف . . . تبًا لك !

قال نيل من خلفها :

– آه . . . يا إلهي !

كانت غارقة فيما تفعله فلم تلاحظ سيارته تسير خلفها ببطء ، ثم تتجاوزها لتقف أمامها مسافة غير بعيدة بل لم تلاحظه يخرج منها ويسير نحوها قالت له بعد أن أحست بنفسها ملفوفة بعجز بين ذراعيه :

– أنا على ما يرام . . . اوه يا نيل . . . أشعر بأنني مريضة !

اخذت تبكي على صدره .

– لست دهشًا . . . فالشجاعة لها ثمنها . . . يا حلوتي .

ودفعت سوزان ، دفعت الثمن ركوعًا على جانب الطريق تتقياء بينما أمسك نيل برأسها ثم مسح لها وجهها بعد أن انتهت . لم تكن قد أحست بمثل هذا الخجل والإذلال إلا مرة واحدة . . . حاولت أن تخبره بهذا ، لكن لم يبدُ أنه مهتم .

قال لها مواسيًا :

– كل إنسان يميل للتصرف السيء في بعض الأحيان .

حدقت إلى السماء :

– لكنني لم أتصرف بشكل سيء من قبل . . . لم أتصرف بأي سوء منذ سبع سنوات . . . لقد آمنت أنني لو حاولت جهدي . . . لو أصبحت طيبة . . . عندها لن يعود لما فعلته أهمية . . . ولكن هذا لم يحصل . . .

اختنق صوتها بالدموع . . . فتنهد بخشونة ، وساعدها على الوقوف قائلاً :

– لن تزيلى الماضي يا سوزان . وإن أردت سأقلك الآن إلى منزلك .

أمسكت يدها أطراف معطفه بتوتر وذعر :

– أوه . . . لا ! لن أذهب إليه ليس بعد . . . نيل . . . لست وأنا على هذه الحال .

تمتم بحنق :

– هل تحاولين الاختباء خلفي ثانية يا سوزان ؟ ولكن لهذا ثمنا أيضًا .

فهمست :

– أرجوك . . . لا يمكنني ترك أبواي يرياني بهذه الحال . . . فأنا خجلة جدًا .

أخرج حذاءها من جيبه ، ثم انحنى ليضعهما بخشونة في قدميها . . . وقال محذرًا :

– فلتكن النتائج على رأسك إذن .

www.riwaya.net مكتبة رواية

ابتعد عنها . . . فتبعته إلى السيارة وهي لا تزال تحس بالغثيان . وقدماها تؤلمانها ، ولكن هذا لا يعني شيئًا بالنسبة للألم المهشم الذي يكتسح ذاتها . لقد عاد فجأة ذلك الغريب الأسمر . . . مع أنه بدا لبعض الوقت ملاذها وملجأها الوحيد ، وهذا ما صعب عليها فهمه .

جلست بصمت قربه وهو يقود السيارة . . . دون أن تسأله إلى أين ياخذها . . . اختفى الغثيان الآن . وأحست بالتعب وكأن ثقلاً كبيرًا يضغط على رأسها وجفنيها . . . ماذا لو أغمضتهما للحظات . . . أو لبضع دقائق فقط .

زمن ما . . . في المستقبل . . . أحست بأن كل شيء توقف . وأن هواء الليل كان باردًا من حولها . ثم ترنحت قليلاً . . . وشاهدت بضعة أنوار ثم مبنى من نوع ما ، ثم سمعت نيل

www.riwaya.net مكتبة رواية

يتحدث ، يتبعه خشخشة مال وصوت مفتاح ، وشخص ما يحملها . سرّها هذا لأنها لا تظن مطلقًا أن بإمكانها القيام بخطوة واحدة . لعل حاملها هو والدها .

لكن عندما فتحت عينيها رأت نيل ثم أحست بطراوة ونعومة فراش تحتها ، ورائحة الشراشف النظيفة المريحة .

قالت وهي نصف نائمة :

– أنت لست أبي . . . ماذا تفعل في غرفتي ؟

فقال متجهمًا :

– سؤال وجيه . . . فقد أجد له ردًا عند الصباح . والآن عودي إلى النوم .

www.riwaya.net مكتبة رواية

بينما كانت تعود إلى الاغفاء ، أحست بمن يمسح شعرها ثم يقبلها بعطف ، عندها شعرت بأنها سخيفة لأنها حسبته يقبلها . فكيف ذلك وهو يكرهها .

صوت رنين غريب أيقظها . لكنها بقيت مستلقية مرنَّحة من النوم . ثم لم تلبث أن بدأت باستيعاب الأشياء غير المألوفة تدريجيًا . . . السقف الأبيض اللامع والغطاء الأبيض حول المصباح ، الجدران ذات الألوان الباهتة وقماش الفرش القطني الخشن . . .

وكان نيل يقف عند المغسلة في الزاوية . . . عاريًا حتى وسطه يستخدم ماكنة الحلاقة الكهربائية . وكأنما أحس بعينيها تنصبان عليه ، التفت قليلاً ، فاختطفت غطاء الفراش تلفه حتى كتفيها .

www.riwaya.net مكتبة رواية

نظراتها المصدومة ، لأحظت أشياء أخرى . . . الفراش الآخر على بعد بضع أقدام متجعد الوسائد والأغطية . . . تنورتها المخملية ، وبلوزتها الحريرية على الكرسي في تقارب عفوي مع سترته .

قال لها ببرود :

– لقد استفقت إذن . . . القهوة ستصلنا بعد لحظات . . . كيف أصبح ألم رأسك ؟

تصرفه العفوي صدمها أكثر من الوضع الذي وجدت نفسها فيه .

– هل فقدت عقلك ؟ . . . ماذا . . . ماذا نفعل هنا ؟ ماذا يعني كل هذا ؟

فنظر إليها مطولاً ، يفكر ، ثم عاد إلى الحلاقة قائلاً :

– نحن في فندق يقع خارج البلدة . . . لقد رفضت الذهاب إلى منزلك ليلة أمس لأنك كنت في حالة مزرية تتقيئين وتخجلين من نفسك . بينما أنا قدت سيارتي طوال الليل رغم تعبي لأقوم بما تريدينه .

لوح بيده دون مبالاة إلى الغرفة .

– ألست مقبولة ؟

أحست بالهستريا تشوب صوتها ، فحاولت السيطرة عليها .

– هل هذا حقًا ما تعتقده ؟ لقد جئت بي إلى هذا المكان ، وأبقيتني طوال الليل . . . فكيف سأواجه عائلتي ؟

أقفل ماكنة الحلاقة .

– أوه . . . أنا واثق بأن عقلك الخلاق سيجد حجة ؟

أغمضت سوزان عينيها ثم سقط رأسها على الوسائد ثانية . . . إن ما يحدث لها كابوس ، سرعان ما ستستيقظ منه وعندها ستجد نفسها في غرفتها وفي منزلها . . .

تابع كلامه ببرود :

– أما بشأن بقائك في هذا المكان ، فأنا لم الاحظ أي اعتراض منك عندما وصلنا ، اعتراض عذري أو خلافه . كما ستقول لك موظفة الاستقبال لو سألتها .

رمى ماكينة الحلاقة إلى السرير ثم دنا ليقف قريبًا منها . قال بهدوء :

www.riwaya.net مكتبة رواية

– انضجي يا سوزان . . . فإن كنت في ورطة ، فليس أمامك سوى نفسك لتلوميها .

فقالت بغباء :

– هكذا إذن . . . هكذا إذن ! هذا هو سبب وجودي هنا . . . هكذا . لترضى حاجتك للانتقام . . . لقد ربحت يا نيل . . . هل يسعدك هذا ؟

– يا إلهي ؟

أجفلتها الرنة العنيفة المكبوتة في صوته . لكنه لما ضحك . خافت أكثر لأن فيها شيئًا أكثر من الغضب .

تابع وشفتاه ملتويتان سخرية :

– أنت محقة . . . ولكنه انتقام أخرس ، يجب أن تعترفي بهذا يا حبيبتي . . . فلم يكن في نيتي أن تنامي خلاله . ولكنك استيقظت الآن . . . لذلك ربما يجب أن أستفيد قدر استطاعتي من الفرصة المتاحة

لي .

حاولت الهرب والتدحرج فوق السرير إلى الجهة الأخرى نحو الأرض . لكنه فهم نيتها فكان أسرع منها . . . تسمرت على السرير بيدين آلمتاها . . . قاومت عبثًا ضد ذراعين فولاذيتين تحتجزانها ، وأحست بالأنين يتصاعد في حنجرتها ، ولكنه لم يخفف قبضته ولو للحظة . بل راحت أصابعه تتجول على الخطوط الناعمة في عنقها وكتفيها ثم تنخفض أكثر لتزيح عنها غطاء السرير المختبئة خلفه .

www.riwaya.net مكتبة رواية

قال بخشونة وعيناه تلمعان بينما هي تحاول تغطية نفسها بيديها :

– ما بك ؟ لماذا هذا الاحتشام المفاجىء ؟ لقد رأيتك يومًا في ثياب أقل من هذه . . . كان ذلك بمحض إرادتك .

فحدقت إلى عينيه ، تفتش بيأس عن شيء من التعقل فلم تجد .

– لم أكن يومها أعرف ما أفعل .

– آه . . . طبعًا . . . لقد كنت طفلة بريئة . . . وكنت أنا الطاغي الظالم . ولكن ، هذا كان منذ زمن طويل . . . ولعلك ما زلت بريئة حتى الآن يا حلوتي ، لكن عندما أنتهي منك . . . لن تعودي طفلة ثانية .

– نيل ! . . .

الرجاء في صوتها ضاع في عاصفة من العناق . . . لن ترجوه ثانية . . . بل ستجمد بين ذراعيه كلوح من الثلج .

استطاع أن يقرأ أفكارها . . . فلانت ذراعاه من حولها ، ثم تحركت يداه على جسدها بنعومة ، وإغواء ، بحركات مثيرة بطيئة ، إنه يستخدم كل براعته كى يقتحم دفاعاتها ، وكى يذيب حاجز التلج الذي لفت نفسها به . . . وعرفت ، دون شك . . . وبإحساس بخجل مُحرق ، إنه لن يمر وقت طويل قبل أن ينتزع التجاوب منها .

وأخيرًا . . . رفع رأسه ونظر إليها . . . وقد سادهما الجمود وتوتر لا يطاق تقريبًا . . . سمعته يهمس اسمها ويعاود انقضاضه الناعم عليها . . . وكان في هذا العناق الأخير ،

www.riwaya.net مكتبة رواية

وعد ومطلب . . . عرض وقبول . . . أمان واضطراب ، سؤال وجواب . ارتفعت ذراعاها ببطء تتعلقان به وتشعران بالإثارة التي تثيرها بشرته الحارة على بشرتها .

الطرقات المدوية على الباب كانت مقاطعة مؤلمة ملحة فتأوه نيل تأوهًا مخنوقًا ، ثم تدحرج مبتعدًا عنها ، محدقًا إلى الباب صائحًا :

– ما الخطب ؟

– القهوة يا سيدي .

فتنهد نيل ثم أنزل ساقيه إلى الأرض . . . ونظر إلى سوزان بسخرية :

– يبدو أن ملاكك الحارس يعمل أوقاتًا إضافية .

راقبته سوزان بصمت وهو يصب القهوة ويضيف لها الحليب والسكر ، بينما تناول هو قهوته دونهما . . . عندما انتهى وضع الفنجان على الصينية ثم التقط قميصه قبل أن ينظر إلى ساعته دون اكتراث تقريبًا :

– لك أن تهيئي نفسك خلال عشر دقائق ؟ الوقت مبكر ، وقد أتمكن من تهريبك إلى المنزل دون أن يلاحظك أحد .

حدقت إليه بذهول ، غير قادرة على إيجاد رابط بين هذا الغريب ، وبين ذاك العاشق الذي كاد يسحب روحها من جسدها منذ دقائق . ثم أحست بالإذلال يطغى عليها . إذن . . . كل هذا كان تسلية وتأكيدًا منه لها بأنها ملكه . . . يقدر على الحصول عليها متى شاء . خافت من دموعها التي

توشك على الانهمار ، هذه الدموع التي قد تكون كارثة . لها ، ارتفع ذقنها وقالت بصوت بارد :

– شكرًا لك . هل لي بخلوة حتى أرتدي ملابسي ؟

بقيت يداه على أزرار قميصه ، لكنه رمقها بنظرة ساخرة :

– وماذا ظننتي سأفعل ؟ الجلوس أمامك ومراقبتك كعجوز ينظر إلى عرض للعرى ؟ . . . شكرًا . . . لا . . . شكرًا ، فأنا لا أرغب بمثل هذه الإثارة المستخدمة من قبل .

التقط مفاتيح سيارته ووضعها في جيبه ، ثم أخذ سترته وقال لها :

انزلي إلى قاعة الاستقبال عندما تصبحين جاهزة ، سأذهب لأضع بعض الوقود في السيارة .

www.riwaya.net مكتبة رواية

عندما خرجت من الغرفة وجدت أن كل شيء انتهى ولم يعترضها أحد .

كان نيل يجلس في السيارة يحدق أمامه . فلما اقتربت ، نزل بسرعة واستدار إلى الناحية الأخرى ليفتح لها الباب . . . هادىء الوجه خالي صامتًا . . . كان السير معدومًا تقريبًا . . . وصلا بسرعة .

عندما شاهدا من, بعيد تجمع منازل البلدة الرمادية في الوادي . . . كسرت الصمت وقالت :

– ماذا سنقول ؟

اخترعي أية قصة . قولي ان السيارة تعطلت . . . فهذه قصة قديمة مفضلة .

www.riwaya.net مكتبة رواية

– أو . . . قد اقول الحقيقة .

فقال ساخرًا :

– لا أعتقد أنك تعرفين ما هي .

أحنت رأسها تبتلع الألم الذي سببته كلماته . . . أرادت أن تقوم بمبادرة ، فهي تحس أنها مستعدة الآن لتحمل الملامة على كل شيء حدث ، ليس الآن فقط بل ما حدث منذ سبع سنين . ولكن رفضه حيرها . . . ماذا يريد ؟

المرور بالبلدة كان عذابًا لها . . . فالشوارع كانت خالية إلا من بضع زجاجات حليب ، لكنها أحست وكأن كل نافذة تخفي عينا تراقب مرورهما السريع . . . وكان توترها قد بلغ الذروة عندما العطفت السيارة إلى الطريق الموصلة إلى حيث

تسكن . كل شيء كان هادئًا . . . لكن سيارة جديدة كانت تقف في الخارج . . . قالت يغباء :

– إنه بيتر .

فنظر إليها بحدة :

– ماذا تريدينني أن أفعل ؟ هل أنزلك عند المنعطف ؟

– لا فائدة . . . هو دون شك شاهد السيارة .

تساءلت حيرى ، لماذا تشعر بأنها غير عابئة أو مهتمة بما يشعر . إنه دون شك غاضب بعد ليلة انتظار . أوقف نيل السيارة قرب الرصيف . فشاهدت بيتر يخرج من سيارته ، ويقف بانتظارهما ، ويداه على على خصره . . .

خرج نيل ليفتح لها الباب . . . ثم ساعدها على الخروج . . . فأحست بدافع يأس يدفعها إلى التعلق به . . . لكنها ابتعدت باتجاه بيتر . . .

وسألته :

– هل انتظرتني منذ وقت طويل ؟

– ما هذا السؤال ؟ أين كنت ؟

أمسك ذراعها بوحشية :

– أجيبيني . . . تبًا لك !

تقدم نيل خطوة محذرة إلى الأمام وقال :

– هذا يكفي .

فاستدار بيتر بوحشية وقال :

– أنا لم أبدأ بعد . . . وسيجيء دورك لكن الآن ، ابتعد عني . . . أنا أتحدث مع . . . مع خطيبتي .

أعاد سؤاله لها :

– حسنًا ؟

– عندما تركت القصر ليلة أمس كنت أحس بتوعك . ولم أرغب في الذهاب إلى المنزل . أغمي علي . فأخذني نيل إلى فندق وهناك اعتنى بي .

كانت ضحكة بيتر خبيثة :

– أراهن أنه فعل ! كلاكما من عينة واحدة ؟ عائلته جردته من حقوقه لأنه لم يستطع ابقاء يديه بعيدتين عن الفتيات .

فانفجرت سوزان :

www.riwaya.net مكتبة رواية

– هذا ليس صحيحًا .

فحدق إليها بيتر وقد ضاقت عيناه بتقدير قبيح :

– وكيف تعرفين هذا ؟ كنت صغيرة عندما حدث ، ألم تكوني كذلك ؟

أخفضت عينيها . إنها تعلم أنها عليها قول شيء لكن الكلمات خانتها . . . فتابع بيتر :

– أم أنه كان يخطف الأطفال أيضًا ؟ يا إلهي ! كم كنت أحمق ! لقد ضحكت عندما قال أبي إن علاقتكما أكثر من عابرة . وها أنا الآن لا أستغرب بقاءك معه في فندق .

قاطعه نيل :

– ليس هناك ما تشك فيه . . . لك كلمتي . . .

فصاح به بيتر:

– كلمتك ؟ لن أصدق ما تقول بل سأشك بقولك حتى إن ذكرت في أى يوم نحن .

تابع نيل بهدوء ظاهر :

– ومع ذلك . . . فلا مبرر لإلصاق التهم بسوزان . إنها ليست عشيقتي ولم تكن يومًا . لذا أقترح عليك الان أن تدخلها إلى المنزل ، وإلا سوف تجتذب انتباهًا غير مرحب به .

رد بيتر غاضبًا :

www.riwaya.net مكتبة رواية

– وأنت لن تهتم لهذا بالطبع . فهناك الكثير من الاهتمام غير المرحب به يأتيك عن كل حدب وصوب . ثمة شرفاء في هذه البلدة يتساءلون متى ستعطي طفلتك اسمك .

أحست سوزان بالرعب :

– بيتر . . . . ! أنت . . . . لا شأن لنا بحياته الخاصة . .

توقفت محرجة ، لكن نيل ابتسم لها قائلاً :

– لا بأس إنه سؤال منصف . . . قد أجيب عنه يومًا . . . وداعًا يا سوزان . . . اتمنى لك السعادة .

أرادت أن تصرخ أن ليس بإمكانه تركها هكذا ، ولكنها خافت من إشعال عداء بيتر مرة أخرى . انتظر نيل للحظة ،

www.riwaya.net مكتبة رواية

ثم رفع يده بتحية ساخرة وارتد على عقبيه مبتعدًا . بعد أن صعد في سيارته وقادها قال بيتر بغيظ :

– تملص جيد . . . !

تمطى متثائبًا :

– يا إلهي . . . أنا بحاجة لبعض القهوة . . . ولحلق لحيتي النابتة .

فقالت بهدوء :

– إذن من الأفضل أن تعود إلى بيتك .

انتزعت خاتم الخطوبة من يدها ثم ناولته إياه :

– خذ هذا معك .

فحدق إليها ، مذهولاً :

– لكن لست أفهم . . .

ابتسمت ابتسامة شاحبة وقاطعته :

– لا تفهم؟ أعتقد أنه كان من المفروض علي أن أشعر بالامتنان لأنك صدقت قوله بأن لا شيء حدث بيننا . فماذا ستفعل بشأن ما حدث ليلة أمس يا بيتر ؟ هل ستضع برقعًا عليها وتدعي أنها لم تكن موجودة حتى يأتي اليوم الذي تستفيد منها ؟ لا أظن أن هذا ما أريده في علاقتنا .

أمسك يدها ونظر إليها باضطراب :

– أنت لست طبيعية ! أنا. . . أنا آسف يا سوزان . . . أهذا ما تريدينني أن أقوله ؟ لكن قد يفكر أي رجل بما فكرت فيه .

فرفعت يدها لتعيد خصلة شعر أبعدها الهواء البارد عن مكانها .

– أنت محق ، بطريقة ما . ربما لم يمتلكني بطريقة ما . . . ولكن ليس لأنني لم أكن راغبة . . . بل لأنه لم يرغب في استغلالي . . . هذا كل شيء . أليس ما أقوله مضحكًا ؟

احتقن الدم في وجه بيتر . فانتزع الخاتم من يدها ووضعه في جيبه بحركة غاضبة وقال بخشونة :

– أيتها الفاسقة !

ابتعد بسيارته وإطاراته تصيح ، تاركًا وراءه دخان المحرك في الهواء . راقبته وهو يبتعد بإحساس انفصالي . ثم بدأت السير ببطء في الممر الموصل إلى البيت . نظرت إلى نوافذ غرفة نوم أهلها ، فإذا بالستائر ما تزال مسدلة . ليت معجزة حدثت

www.riwaya.net مكتبة رواية

أبقتهما نائمين دون أن تزعجهما الأصوات الغاضبة التي كانت في الخارج .

دخلت المنزل ثم صعدت إلى غرفتها ، دون أن تهتم كثيرًا بالهدوء . لكن كل شيء بقي جامدًا . خلعت التنورة المجعدة وتركتها على الأرض ، وأتبعتها بالقميص ثم حملت بعض الملابس الداخلية النظيفة ، وغطست في مغطس حار ، تفرك جسدها كله . . . وعندما انتهت ارتدت ملابسها ثم زينت وجهها أمام طاولة الزينة ، قبل أن تسمع حركة والديها . . . سمعت طرقات على الباب تبعها صوت أمها :

– ها أنت يا حبيبتي . . . لقد تأخرت ليلة أمس ، قلقت عليك . . . هل . . . هل كل شيء على ما يرام ؟ اتصل

بيتر ، في وقت متأخر . فأخبرته بأنك لم تعودي بعد . . . بدا غاضبًا أنتما . . . . لم . . . تتشاجرا ، أليس كذلك ؟

فاستدارت سوزان ببطء ومدت يدها الخالية من الخاتم .

فرقعت أمها يدها إلى عنقها . . . وقالت بخيبة ظاهرة :

– أوه سوزان . . . ماذا حدث ؟ أتحبين أن تخبريني ؟

فترددت سوزان ، ثم قالت :

– شيء واحد فقط . . . نحن . . . شعرنا أن من الأفضل أن نفترق ، هذا كل شيء .

– فهمت . . . لكن هذا ليس نهائيًا لي بعد ! أعني قد تعود المياه إلى مجاريها .

وضعت سوزان فرشاة شعرها وحدقت إلى أمها :

– أوه يا أمي ! إنه نهائي . ولم أكن أعرف أن زواجي منه مهم لديك .

ارتجفت شفة الأم وهي تجلس على حافة السرير :

– وهل هذا غير طبيعي ؟ أنا أريد الأفضل لك يا سوزان .

فنظرت سوزان إليها بسخرية :

– وهل بيتر هو الأفضل ؟ إذن ليتني ألتقي بالأسوأ .

بدت الصدمة على الأم :

– كيف تقولين هذا القول ؟ كنت حتى ساعات قليلة واقعة في حبه . . .

فجلست سوزان قربها تفكر :

www.riwaya.net مكتبة رواية

– هل كنت أحبه ؟ لا أظن يا أمي . . . كنت أحب صورة اختلقتها عن رجل أردت أن أحبه . . . وبدا بيتر مناسبًا لهذه الصورة . . . هذا كل شيء . والآن عرفت أنه ليس ما أريده وها أنا سعيدة باكتشافي هذا . فعلي الأنسان أن يحب شخصًا لا صورة . كانت التعاسة بانتظارنا لو تزوجنا .

فانفجرت السيدة بيل قائلة :

– أوه . . . لا تكوني سخيفة . . . فبيتر مخلص وفى ، وما كان ليسبب لك لحظة قلق . لا أفهمك يا سوزان ، ولن أفهمك أبدًا . لقد فوت من يدك فرصة العمر ، من أجل وهم . أنا غير مقتنعة بكلامك عن الصور لأنني أعتقد أنكما اختلفتما على شيء ما فتصرفت معه بعداء . . . حسنًا . . . لقد حفرت حفرة بيديك ستقعين فيها .

وقفت وكأنها تشير إلى أنها غسلت يديها من الموضوع . . .

فقالت سوزان :

– أنا واثقة من أنني سأنجو منها .

– ستنجين وستنفذين ما تريدين . كما كنت تفعلين دائمًا

لكن عليَّ أن أعيش في هذه البلدة . وعليَّ أن أصغي إلى

التعليقات فثمة أشخاص كثيرون يسرهم انفصالكما . . .

فبيتر لن يجد صعوبة تذكر في إيجاد فتاة أخرى .

فلوت سوزان شفتيها ساخرة :

– لا . . . فما يريده هو مسطرة جميلة للتخرين .

– لن أجاذلك وأنت على هذه الحال . . . لقد خيبت أملي

. . . لكنني لن أتوقع منك أن تهتمي بمشاعري !

www.riwaya.net مكتبة رواية

خرجت ، وجسدها يرتجف استنكارًا . فراقبتها سوزان متنهدة فأمها على ما يبدو لن تفهمها أبدًا . فما كان منها إلا أن استلقت على وجهها فوق السرير وأجهشت ببكاء صامت .

7– أقوى من النسيان

عندما وصلت إلى المستشفى كان التعب باديًا على وجهها إلى درجة جعلت السيدة اتكنز تحثها على الراحة ذلك اليوم . لكنها رفضت . فمتطلبات عملها هو ما تحتاجه بالضبط لتبعد تفكيرها عن مصاعبها . هي

تعلم أنها لو بقيت في المنزل ، فسوف تضطر للاصغاء إلى اتهامات أمها .

والدها لم يقل شيئًا وكان قد طبع قبلة على شعرها قبل أن يغادر المنزل قائلاً :

– أنت تعرفين ما عليك فعله يا سوزان . فإن لم تكوني نادمة فأنا مسرور .

أما أمَّها فأصدرت استهزاء ساخرًا من الطرف الآخر للمائدة . كان واضحًا لسوزان ، أن أمها لم تكن منجذبة إلى شخصية بيتر بل إلى مركزه ومال أبيه . . . اعتبرته فرصة لا تفوَّت لا شخصًا مميزًا . تنهدت سوزان وقد بدا لها أن ناحية جديدة جدًا وغير متوقعة من شخصية أمها قد انكشفت لها .

www.riwaya.net مكتبة رواية

إنها على الأقل في أروقة المستشفى وعنابره تستطيع نسيان كل شيء . . . حتى نيل . . . كم كانت غبية عندما ظنت أنها قادرة على إزالته من قلبها . فما أحست به تجاهه طوال تلك السنوات الماضية ، كان أقوى من النسيان . . . وهذا ما تعرفه جيدًا حاليًا . فالعواطف النائمة التي كبحتها قد عادت إلى الحياة .

أحست للمرة الأولى أنها قادرة على كره طفل . . . ولكن كيف يمكنها لوم طفل على لحظة عاطفة وانفعال تسببا بوجوده ؟ إن التفكير بالأم . . . بتلك المرأة المجهولة التي نامت في حضن نيل ، هو السبب الأكبر للعذاب الذي تشعر به الآن .

www.riwaya.net مكتبة رواية

تركت سوزان المستشفى ثم قصدت قصر كوانتون للاطمئنان على روز وكان ذهابها بطلب من السيدة اتكنز . فلما وصلت طرقت الباب وإذ بروز تطل منه .

حيتها سوزان وسألتها عن حالها وعن والدها .

– والدي غائب آنسة . . . .

شعرت سوزان بالذنب لأنها لم تفكر ليلة أمس بالطفلة قط . لقد افترضت بكل بساطة أن نيل حر من المسؤوليات ليجوب بها الريف حتى الساعة التي تريدها . إنه دون شك لم يترك الفتاة وحدها في هذا القصر الكبير الفارغ :

– مع من كنت البارحة في القصر ؟

أخفضت صوتها وكأنها تبوح بسر :

– مع الآنسة بنفيتس إنها طاهية ماهرة طهت البارحة حلوى لذيذة لدي قطعة منها الآن أريد أن أقدمها إلى صديق .

نظرت العينان اللوزيتان إلى عيني سوزان دون أن ترفا . ثم أردفت :

– أريد أن أقدمها إليك . . . فانت صديق . . . أنت صديقتي .

أحست سوزان بعجزها أمام الطفلة :

– أوه يا روز . . . قد تحبين أن تقدميها لشخص آخر . . . حقًا .

فهزت روز كتفيها وقالت بإصرار :

– أريدك أنت أن تأخذيها .

فتنهدت سوزان :

– حسنًا . . .

جلست الطفلة على الكرسي أمامها ، وهي تشعر براحة ما لأن امرأة ترعاها بعطف . كانت الطفلة قد شفيت من مرضها نهائيًا .

– أتعرفين يا آنسة أن والدي ألحقني بمدرسة البلدة .

– هذا عظيم يا صغيرة لأنك فيها ستتعرفين إلى أصدقاء جدد .

بعد ساعة عادت سوزان إلى المستشفى متجهة إلى غرفة السيدة اتكنز ، فقابلت زميلتها أماندا التي قالت لها :

– إنها غير مشغولة الآن إذا أردت رؤيتها .

www.riwaya.net مكتبة رواية

ترددت قليلاً ثم قبلت ، فلو تأخرت عن مكالمتها فقد لا تجد الشجاعة مرة أخرى . . .

كانت, السيدة اتكنز تتحدث هاتفيًا عندما دخلت . سوزان ، فأشارت إليها لتجلس إلى أن تنتهي .

– والآن سوزان يا عزيزتي . . . ماذا بك؟

فأخذت سوزان نفسًا عميقًا :

– أخشى أنني سأستقيل .

– أوه . . . يا إلهي !

نظرت السيدة اتكنز إلى يديها ، ثم إلى وجهها :

– هل أقول ان لاستقالتك علاقة بالخاتم الذي لا أراه في يدك .

فأحنت سوزان رأسها :

- بإمكانك ذلك .

- أوه يا سوزان . أعلم أنك تشعرين بالفراغ والحزن. لكن لا تتسرعي في اتخاذ القرارات بل أخرِّيها أسبوعًا أو أسبوعين . أضيفي إلى ذلك أنك لن تستطيعي الاستقالة قبل إعطائنا إنذارًا وعلي أن أبلغ الادارة العامة أولاً . . . ومن يدري فحتى ذاك الحين قد يتغير كل شيء ، وقد تقررين البقاء معنا . لا أريد أن أخسرك .

أطرقت سوزان تنظر إلى يديها :

- أنت لطيفة جدًا . لكن يجب أن أترك العمل . . . أعلم أنني رسميًا مضطرة للبقاء ، حتى انتهاء مدة عقدي في الربيع .

لكن ما كنت امله أنك ستساعدينني حتى أترك في عيد الميلاد

.

تراجعت السيدة اتكنز إلى الوراء مقطبة :

– تبدين عازمة الرأي . . . فهل أنت واثقة من أنك فكرت مليًا ؟ فوظيفة رئيسة ممرضات ليست متاحة لأي كان في هذه الأيام . . . فهل لديك وظيفة أخرى ؟

– لا .

– فهمت . . . لن أدع الادارة العامة تؤخر استقالتك فثمة طلبات كثيرة يحتاج أصحابها إلى العمل . . . سأرى ما أستطيع القيام به . . . ولكن أرجو ألا ترتكبي خطأ تندمين عليه . فأنت تتخلين عن وظيفة جيدة .

– إنها مخاطرة يجب أن أقوم بها . . . حتى الان كل شيء كان لي مؤمنًا وسهلاً فمنذ أن أنهيت دروسي وتدريبي ، انتقلت إلى هذه الوظيفة دون أن أجد أيه صعوبة تذكر .

– هكذا إذن . . . لن أتصل بالادارة حتى ظهر الغد . فإذا غيرت رأيك اعلميني فورًا .

شكرتها سوزان ثم غادرت الغرفة. وهي تشعر بالرّاحة لهذا القرار. ستكون سعيدة بابتعادها فهذه الطريقة الوحيدة لتشفي جراحها التي أورثها إياها الماضي .

مرت بنوافذ المستشفى المطلة على ملعب المدرسة . . . ثم راحت تفكر في روز التي بدت لها اليوم صغيرة متوترة تنطق ملامحها بالعذاب والترقب . هل ستستطيع هذه الطفلة التأقلم مع هذا المحيط الجديد .

www.riwaya.net مكتبة رواية

اتجهت إلى غرفة استراحة . الممرضات وذلك بعد أن اطمأنت على مرضاها ، لكنها ما إن دخلت حتى أدركت أنها حديث الموجودين . فاحمر وجهها قليلاً وهي تتابع سيرها إلى طاولة عليها فناجين وغلاية كهربائية .

كانت في وقت آخر ستشعر بالتسلية من الحديث الدائر حولها ، في الوقت الحالي من الأفضل تناول فنجان القهوة في مكتبها لتتركهم يتمتعون بالأقاويل . لكن بما أنها لم تكن في مزاج يميل إلى الكياسة واللطف فقد جلست على كرسي وبهذا دلالة واضحة على بقائها في الغرفة .

كانت جولي بيترسون أول من قرّر خوض الحديث .

– أنت لا ترتدين خاتمك الجميل يا سوزان ! هل أرسلته للتنظيف ؟

كانت لهجتها المتصنعة توحي بأن هذا ما لاحظته لتوها .

فردت سوزان ببرود :

–لا . . . قررت وبيتر الانفصال .

ساد صمت مربك سمج ، قطعته جولى ثانية :

– يؤسفني ما حدث . . . لقد بدوتما دائمًا . . . منسجمين

.

أجبرت سوزان نفسها على المرافقة بمودة :

– صحيح . . . أليس كذلك ؟ إنها نعمة أن نكتشف في الوقت المناسب أننا غير متفقين .

لم تكن جولي ممن يتراجعون بسهولة :

– لكن ، ألن يجعل هذا الانفصال عيد الميلاد فترة بؤس لك ؟ فأنت وبيتر كنتما تتشاركان في كل شيء وتذهبان إلى كل ، مكان معا في هذه الفترة . ألا تخافين من الوحدة هذه السنة ؟

لم ترتجف بسمتها الخفيفة :

– أنا بانتظار أن يشفق عليَّ أعزب وحيد .

صدرت بعض التمتمات المتعاطفة من سائر الموظفين ، وتوجهت بعض النظرات المعادية إلى جولي ، التي لم تؤثر فيها . إذ كانت تصرفاتها توحي بأنها قطة لمَّا تحصل بعد على قطعة الجبن ، فهذه الفتاة كانت منذ

جاء بيتر إلى البلدة تطمع في لفت انتباهه إليها . وقامت بحيل عديدة لتحقيق ذلك ، لكن أملها خاب عندما فضل سوزان عليها .

www.riwaya.net مكتبة رواية

بعد أن أنهت سوزان قهوتها ، تمتمت معتذرة ثم خرجت . فقد وجدت الإشفاق أكبر وقعًا على نفسها من تصرفات جولي الشريرة ، لذا فضلت تنشق بعض الهواء العليل !

بدأت تسير الهوينا في الفناء الخارجي حيث الهواء البارد النقي . ورفعت وجهها قليلاً نحو الريح . وهي تفكر في أن الناظر إليها في هذه اللحظة سيجدها وحيدة . ولم يكن في وسعها سوى أن تكون شاكرة لأن

أكثر الافتراضات جنونًا لن تصل إلى حقيقة الوضع .

كانت قدماها قد حملتاها على غير وعي إلى قصر كوانتون . اقتربت منه قليلاً فإذا بها ترى روز واقفة تنتظر . بعد تردد قصير ، توجهت إليها متعمدة أن تبدو عفوية ، ووقفت قربها . لم تجفل روز على عقبيها هاربة كما قد يفعل أي طفل في

www.riwaya.net مكتبة رواية

مثل سنها . بل ألقت إليها نظرة هادئة ، متسائلة ، تنتظر منها الكلام .

فتنهدت سوران قائلة :

– إلامَّ تنظرين ؟ لا يبدو الطريق مثيرًا للاهتمام .

أعلنت الطفلة بهدوء :

– انتظر أمي .

خفق قلب سوزان في صدرها خفقة غير طبيعية.

– أهي فكرة جيدة ؟

فهزت روز رأسها وقالت بهدوء :

– أوه . . . أجل . ستأتي قريبًا ، فإذا وقفت هنا فسأتمكن من رؤيتها حالما تطل من المنعطف .

صمتت سوزان للحظات ثم أدركت أن وجهها يحمر تحت نظرات روز فقالت :

– آه فهمت . . . من . . . من قال لك إنها قادمة ؟ هل هو والدك ؟

فهزت الطفلة رأسها نفيًا :

– لا بل هي من أخبرتني عبر رسالة كتبتها لي . وأنا أعتقد أنها أرسلت رسالة أخرى إلى نيل كذلك . لكنه لم يتحدث عنها .

فقالت سوزان عاجزة :

– آه . . .

تابعت سيرها وهي تعلم أن الطفلة عادت للاستغراق في أحلامها .

معرفتها بأن الأم قادمة في وقت قريب إلى البلدة جعلتها تشعر بالكآبة . فراحت تفكر: يا ترى كيف هو شكل هذه المرأة ؟ هل تملك ذلك النوع من الجمال المتحفظ الذي يروق عادة للغربيين ؟ هذا ممكن جدًا نظرًا لما يظهر من آثار هذا الجمال على وجه ابنتها . عضت سوزان علي شفتها وقد تراءت لها صورة ذلك الجمال الشرقي . ربما نيل قرَّر أخيرا إرضاء المجتمع بزواجه من هذه المرأة ، إذ ثمة أمور كثيرة قد يستفيدها من هذا الزواج . أغمضت عينيها وهي تحس ببؤس حارق يهدد بالاستحواذ على كل مشاعرها .

أحست بالامتنان لأنها لم تعط نيل أي تلميح عن الرغبة التي تستقر في داخلها . فما زالت حالهما هي هي . . . ليس نيل لها كما لم يكن يومًا . لقد أرادته وكان هو في المقابل يشعل فيها تجاوبًا جسديًا بدائيًا . . . والان. .. هناك امرأة أخرى في حياته ، قادرة على إثارة تجاوب مماثل فيه ، وهي أحقُّ منها بحبه واحترامه . فإن اختار اللجوء إلى مراعاة المجتمع وتزوج من هذه المرأة فلن يلومه أحد .

بعد الظهر اتجهت إلى مدرسة البلدة فقد اعتادت منذ سنين أن تساعد التلاميذ على تدريبهم لتمثيلية الميلاد . وكانت مديرة المدرسة قد أرسلت إليها رسالة البارحة تسألها المساعدة .

www.riwaya.net مكتبة رواية

عندما وصلت راحت توزع الأدوارعلى الأولاد . فأوكلت إلى بعضهم دور المتكلم وإلى البعض الآخر دور الرعاة . ونزلاء الفندق ، والحكماء . . . لكن كان هناك مجموعة من الفتيات يردن تمثيل دور «العذراء مريم».

كانت روز من بين الفتيات الموجودات في المدرسة التي ألحقها بها والدها منذ فترة وجيزة . لكن لم تبدُ الصغيرة متحمسة كسائر التلاميذ لذا ابتسمت سوزان تشجعها وهي تشد أوتار غيتارها لضبط النغم ، وسألتها :

– ألن تغني يا روز ؟

ساد تردد قصير ، ثم هزت روز رأسها نفيًا . لم تحاول سوزان حثها على الغناء بل تركتها والتفتت إلى مجموعة من الفتيات المتشوقات .

كانت سوزان تعرف أن القرار معروف . . . فاختيار تمثيل دور «العذراء مريم» محصور بعائلة لاڤنغهام . . . كانت ابنتهم الصغرى هيلدا المرشحة في الوقت الحالي , بعد أن كانت أختها الأكبر منها سنًا تمثل

الدور لسنوات خلت . لم تشأ سوزان اختيار الممثلة قبل أن تنهي تجربة أصوات جميع الفتيات .

التفتت إلى الفتيات اللواتي لم يجربن أصواتهن :

– من يريد التجربة ؟

التقت عيناها بعيني روز :

– تعالي يا روز . . . أنا لم أسمع صوتك قط .

تقدمت الفتاة ببطء إلى مقدمة الغرفة تسأل :

www.riwaya.net مكتبة رواية

– ماذا يجب أن أغني ؟

– ألا تعرفين أغنية «طفل المغارة» ؟

فهزت روز رأسها نفيًا ، متجهمة الوجه بسبب ضحكات الأطفال الهازئة . لكن سوزان تابعت إلحاحها :

– سمعت الفتيات يغنينها . هاك كتابًا فيه الكلمات وحاولي فقط غناء المقطع الأول . . . وغني ببطء قدر طاقتك .

بدأت تعزف اللحن المألوف بنغمات واضحة لترشد الطفلة ، وبعد لحظات قلق ، أرخت روز كتفيها ثم بدأت الغناء . . . غناؤها وكأنه عصفور حبيس قد فتح قلبه ليغرد في الغرفة . صوتها المرتفع ، عذب ، وصاف مميز لن تصل إليه هيلدا لاقنغهام . . . غنت اللحن الذى سمعت رفيقاتها يغنينه دون

www.riwaya.net مكتبة رواية

التردد لحظة . وعندما انتهت ، سرت همهمة عجب وحيرة ، ثم دوى تصفيق الاستحسان .

انتظرت سوزان إلى أن توقف الهرج والمرج ، ثم قالت بدبلوماسية :

– إنه اختيار صعب جدًا . فكلكن رائعات هذه السنة . . . على كل أظن أن روز ستكون أجمل «عذراء مريم» لنا .

ساد صمت مقطوع الأنفاس ، ثم رفعت هيلدا لاقنغهام يدها وقد احمر وجهها غيظًا وقالت :

– هذا ليس بإنصاف يا آنسة . . . إنها لا تعرف الأغنية فلولا مساعدتك إياها لما غنتها . . . وهي . . . وهي ذات ملامح «غريبة» .

www.riwaya.net مكتبة رواية

شهقت بعض الفتيات احتجاجًا على هذا الكلام الفظ لكن سوزان اسكتتهن بنظرة قائلة بهدوء :

– يكفي هيلدا . . . عليك أن تتعلمي الخسارة والربح .

ثم التفتت إلى روز الشاحبة :

– هاك الكتاب . بإمكانك تعلم الكلمات بسهولة . سنجري أول تدريب غدًا وقت الغداء .

رن جرس المدرسة ، فتجمع الأولاد عند الباب ، وكلهم شوق لحمل ما لديهم من أخبار إلى البيت . وضعت سوزان الغيتار في صندوقه ، ووقفت لتذهب إلى المستشفى ، فأحست بمن يشدها من كمها ، فتطلعت

إلى الأسفل ، فإذا بها ترى روز تنظر إليها بإلحاح :

– نعم يا عزيزتي ؟

لاحظت بقلق أن الدموع تترقرق في عيني الطفلة التي قالت وحشرجة البكاء ظاهرة في صوتها :

– آنسة . . . أرجوك لا تجبريني على هذا .

– ولماذا لا ؟ هل السبب ما قالته هيلدا ؟ لا تأبهي بها فقد خاب أملها فقط ، ولم تقصد . . .

فهزت روز رأسها مقاطعة :

– ليس الأمر هكذا . . . فليس من العدل أن أتمرن على القيام بدور لن أمثله .

احست سوزان بأن أمرًا خطيرًا يجرى :

– ما الذي يجعلك تعتقدين أنك لن تكوني هنا ؟

أطرقت روز إلى الأرض :

– أمي تقول إنها عندما تأتي ستأخذني معها .

– لكن هذا غير ممكن . . . حقًا . فقد يعجبها المكان حينما تأتي وتقرر البقاء هي أيضًا .

فهزت روز لها مرة أخرى :

– لن تفعل هذا . فهذا ما لا يريده أبي .

أحست سوزان بأن من الحكمة قول ماهو واجب :

– لا تكوني واثقة من هذا أيضًا . . . فقد يعتاد أن يكون . . . جزءًا من عائلة .

– لا أظن هذا ، إنه لا يهتم بنا . . . ولم يهتم بأمي عندما علم أنني سأولد . . . هذا ما أخبرتني به أمي .

أحست سوزان بأن الكلمات تقع في قلبها كطعنة خنجر فمن المؤلم أن توجه مثل هذه الاتهامات لنيل دون أن تستطيع الدفاع عنه . حاولت تغيير الموضوع :

– من المؤسف أن تحرمينا من فرصة سماعك تغنين فإن صوتك جميل . . . من علمك الغناء ؟

أمي . . . إنها مغنية . اسمها إيل سونغ . . . يوما ما سأصبح مغنية مثلها .

– لا يدهشني ذلك أبدًا . . . حسنًا فلنتريث قليلاً ولننتظر ما سيحدث ، أتوافقين ؟ فقد لا تأتي أمك إلا بعد الميلاد ، وهذا يعني أن بإمكانك تمثيل الدور والغناء .

فهزت روز رأسها موافقة على مضض ، وابتسامة خجل وابتهاج تعلو وجهها . توجهت سوزان إلى غرفتها في

المستشفى لتجلس إلى طاولتها تفكر . . . ولم تعجبها مطلقًا الصورة التى رسمتها لها مخيلتها .

وجدت نفسها تفكر بالظروف التي التقى فيها نيل بايل سونغ . . . بدا لها أنهما رغم ما حدث بينهما يحسان بالمرارة بسبب تلك العلاقة . . . ولكن ما يحزنها الآن هو التفكير بأن والدي هذه الفتاة الجذابة قد ورطاها

في مشاكلهما . فليس من العدل أن تكون فتاة في مثل سنها على هذا القدر من المعرفة ، وأن تتقبل الواقع المرير الذي قد يكون بين رجل وامرأة .

كانت واثقة ، في تفكيرها على الأقل ، من أن الفتاة بحاجة إلى محيط مستقر ، لتخرج من قوقعتها ، ولتدرك ما ينتظرها . لكن في الوقت نفسه كانت تعلم أن من المستحيل تقديم هذا

الاقتراح لنيل . . . إذ لن تقوى على دفعه إلى أحضان امرأة أخرى .

لم يكن جو العشاء تلك الليلة مريحًا . فأمها لاذت بالصمت على غير عادة تخرج بين الآونة والأخرى اهة حارة . أما أبوها فكان عابسًا متجهمًا .

قالت السيدة بيل بنغمة منتصرة مجروحة بعض الشيء عندما دفعت سوزان صحنها النصف ممتلىء :

– أرأيت . . . أنت مضطربة . . . لن تخدعي أمك . . . اذهبي واتصلي به يا عزيزتي . فهو دون شك ينتظر اتصالك . إن هذا النوع من الشجار غالبًا ما يحدث في فترة الخطوبة . لكنك بعد عشرين سنة ستتذكرين ما حدث وتضحكين علية .

www.riwaya.net مكتبة رواية

فوقفت سوزان :

– قد يحصل ذلك . . . إنما ليس مع بيتر . . . لا . . . لن أتناول الحلوى شكرًا لك يا أمي . . . سأصعد إلى غرفتي لأنهي بعض العمل ولأشاهد فيلما وثائقيًا على التلفزيون أرغب في مشاهدته .

عندما دخلت غرفتها راحت تذرع أرضها ذهابًا وإيابًا . . . إنها ترغب في أن يحدث شيء . . . لكنها لا تعرف ما هو . . . جلست على السرير تتنهد مرتجفة . . . إنها تكره نفسها لأسباب عدة . منها هذه الرغبة التى

تشعر بها تجاه نيل هذه الرغبة التي تكاد تحرق دمها . كانت تعتقد أنها خاصة بسوزان الصغيرة وإذا بها تجدها أيضا عند سوزان الراشدة ، فهى متجذرة فيها . إن نيل حبها الأول .

وسيكون كما أدركت الأخير أيضًا . فإن لم تكن له . فلن تكون لغيره أبدًا .

نظرت إلى ساعتها . . . فرأت ان وقت الفيلم قد حان لذلك قررت أن تنزل إلى غرفة الجلوس . . .

بينما كانت تنزل الدرجات ، أعادت أمها سماعة الهاتف إلى مكانها فالتفتت إليها لتلتقي عيونهما . فتنهدت الأم وقالت :

– إنها السيدة بيترسون .

علمت سوزان بدافع رهيب للضحك أن كأس أمها قد أصبحت مترعة بالمرارة . . .

سُرَّت لأن أمها ، لم تلحق بها إلى غرفة الجلوس ، حيث كان والدها يجلس وأمامه بضع أوراق يدرسها .

www.riwaya.net مكتبة رواية

رفع نظره إليها :

– غيري قناة التلفزيون إذا أردت يا عزيزتي . . . فأنا مشغول بهذه الأوراق لفترة .

عندما انتهى البرنامج ، أحست بالراحة لعدم وجود أحد يسألها عما شاهدته ، فهي غير قادرة على الاجابة عن هذا السؤال ، لأنها لم تنتبه إلى شيء ، لكنها أجفلت عندما سمعت والدها يقول :

– الرجل الكبير هبط علينا اليوم . . . أو علي أنا على وجه التحديد .

أحست بقبضة خوف تشد على فم معدتها :

– أوه يا أبي ! ماذا كان يريد ؟

www.riwaya.net مكتبة رواية

نظر إليها والدها حائرًا ثم ضحك :

– حسنًا . . لم يعطني إنذار الصرف من الخدمة فلا تقلقي .

. يلزمني أكبر من السيد دايفد وتبجحه العظيم ، ليزحزحني عن مكاني . . .

– هل ذكرني وبيتر ؟

– ليس بكلمات كثيرة . . . لكنه تحدث عن الطبقات الجاحدة للجميل . . . وقصة ذلك الملك مع الفتاة المتسولة . . . وهذا ما أستطيع فهمه أو عدم فهمه وقد اخترت عدم الفهم . . . على كل سبب زيارته هو مشروع قصر كوانتون . . . يريدني أن أقنع الجمعية بأن تحوّل المشروع إلى المحافظة للقرار النهائي .

– وهل يقدر ؟

فهز والدها كتفيه :

– النتيجة مشكوك بأمرها ، فقد تُحل المسالة محليًا . . . إنه لا يريد إلا بعض الحلوى من قالب الحلوى ، وهو مستعد للحصول على القليل منه . . . أتعلمين ماذا أخبرني ، أدعى أن أعضاء الجمعية كلهم في جيبه ،

والمح أنه أخذ الموافقة وأكثر . . . وبدا أنه ضد المشروع بطريقة ما .

– هل هو ضد المشروع أم ضد نيل ميرلاند ؟

ولم تلاحظ النظرة السريعة التي رمقها بها والدها وهو يرد :

– أراهن أنه ضد الاثنين معًا .

– ألم تفهم السبب ؟

www.riwaya.net مكتبة رواية

– أعتقد هذا . وهي أسباب أساسها خلاف شخصي . ولا أرغب في أن أفكر فيها . وهذا ما أفهمته إياه .

– أوه يا أبي ! وماذا قال ؟

أشعل السيد بيل غليونه ثم قال :

– لم يقل الكثير لأنني كنت على موعد آخر وقد اتصلت بي سكرتيرتي مرتين ، فخرج وهو يتذمر نافخًا ضد العالم كله .

فقالت عابسة :

– لكنه لم يعاملك بهذه الطريقة عندما كنت مخطوبة لابنه .

ربت والدها على كتفها :

– لا عليك . . . حياتك هي شأنك الخاص وحدك وليس للسير دايفد أي شأن فيها . . . مع الوقت سيشفى من

صدمة فسخ الخطوبة وقد يقول للناس عندما يهدأ أن ابنه الطيب نجا بنفسه .

خرجت كلماته الأخيرة بالأسلوب الذي يستخدمه السير دايفد تمامًا مما دعى سوزان للضحك . مالت نحوه :

– وهل سيحصل نيل على تصريح ليفعل ما يشاء في بيته ؟

– لست أرى مانعًا . ولا مبررات ثابتة ضده المنزل ليس من ضمن القصور الأثرية المسجلة . وإذا ترك ترك لسنوات أخرى دون ترميم فسيصبح عبئًا ثقيلاً على الجميع . . . هو لا يريد تحويله إلى نادٍ ليلي ، أو ناديًا للعربدة ، حيث سنضطر عندها إلى إيقافه عند حده بسبب ازدحام السير وضيق الطريق . . . فالأولاد الذين سيستخدمون القصر لن

يصلوا القصر بسياراتهم . . . درست ورئيس البلدية المشروع فوجدنا أن الفكرة بشكل عام جيدة .

توقف ناظرًا إلى سوزان :

– هل أراح قولي بالك ؟

فأجفلت بقلق ، وقد فهمت ما تتضمنه كلماته . . . قالت :

– يا الله . . . لا ولماذا ؟ ليس لى شأن به .

– يخيل إلي أن السيدة تحتج أكثر من اللازم .

ابتسم لها ، فلاحظت بعض الفضول والتوتر في عينيه :

– أنت تهتمين بشكل خاص بشؤون ميرلاند .

تمتمت سوزان محتجة :

– أنا مهتمة لأنني اعرف القصر .

وقفت تملس تنورتها ، ثم أردفت :

– لقد تأخر الوقت . . . وأمامى يوم مرهق غدًا . فبعد المستشفى على البدء بتدريب أطفال المدرسة على تمثيلية الميلاد .

فضحك والدها :

– كيف مرت هذه السنة ! هل ستمثل كالعادة فتاة من عائلة لاڤنغهام دور «العذراء مريم» .

فابتسمت ترد على ابتسامته :

– لا هده السنة لن يكون ذلك ، انتظر المفاجأة .

توجهت إلى السلم ، فناداها قائلاً :

– لعلها لا تكون مفاجأة ضخمة . فنحن لا نتقبل المفاجآت بروح طيبة في هذه البلدة .

كانت كلمات ستضطر سوزان إلى تذكرها قبل مضي وقت طويل .

8– التهمة

خرجت سوزان من بوابة المدرسة سعيدة . لم تكن قد أحست من قبل بمثل هذه المشاعر في نهاية أسبوع عمل . إنها تتمتع حقا بعملها كرئيسة للممرضات ولم تكن قط أسعد حالاً مما كانت عليه أثناء تدريب تلاميذ المدرسة على حفلة الميلاد .

لكن الأيام العشرة الأخيرة ، كانت عصيبة جدًا . لم تستطع خلالها إيجاد ولو قليل من الراحة لذا هى تحس الآن بهذه السعادة .

كانت قد رضيت بواقع فسخ الخطوبة والاستقالة اللتين ستكونان حديث الجميع في البلدة . لكن ما اكتشفته أن معظم زميلاتها كن يشاركن أمها الرأي ، وكان عليها أن تستمع إلى العديد من المحاضرات عن التكيف وتعلم الأخذ والعطاء .

لكن هذا لم يكن كل شيء ، فما لم تكن تحسب حسابه هو تأثير وضعها على تلاميذ المدرسة الذين تدربهم فقد تبدلت معاملتهم لها .

لم تكن قادرة على تحديد ماهية هذا التبدل لتنقذ الوضع بل كانت تحس به ، وهذا ما أقلقها . لقد اكتشفت فجأة خبثًا مكتومًا لدى بعضهم لم يكن موجودًا من قبل . لكن أكثر ما أقلقها أنها اكتشفت أنهم ما تغيروا إلا

بعد اختبار روز لتمثل دور «مريم العذراء» .

أنبأها حدسها أن هيلدا لاڤنغهام هي وراء هذا كله . لكن لم يكن لديها البرهان الكافي لهذا الافتراض . فقد كانت هيلدا مؤدبة بشكل مبالغ فيه تقريبًا . ومع ذلك ، عندما وجدت سوزان نفسها على خلاف مع أحد الأطفال ، لاحظت بريقًا غريبًا في عيني الفتاة يشبه بريق انتصار .

الأولاد الذين كانوا يندفعون لتنفيذ ما تريده منهم ، أصبحوا يقومورن بما تطلبه بفتور ، ويحدقون إليها بصمت عندما

تأخذهم إلى التدريب . وعندما تطلب متطوعين لأعمال

صغيرة ، لا يتحرك أي منهم .

لكنها لم تتمكن من إيجاد دافع واحد لتصرفاتهم الغريبة . . .

فللأولاد عادة إحساس قوي بالانصاف ، وكلهم يعرفون في

قرارة أنفسهم أن روز هلى الفضلى ، فلماذا يتملكها

إحساس بأن سبب كل هذا نابع من اختيارها لها ؟

تنهدت وهي تتابع سيرها إلى المنزل . . . كل شيء يسير

بشكل

خاطىء. الأمر الوحيد المؤكد الآن لديها أنها بعد الميلاد

ستصبح دون خاطىء . الأمر الوحيد المؤكد الآن لديها أنها

بعد عيد الميلاد ستصبح دون عمل . فقد تمكنت السيدة

اتكنز من قبول استقالتها .

وحدها روز بدت غير مدركة لما يحدثر. فعندما بدأت سوزان تحس بالتغير ، راقبتها بقلق خوفًا من أن ينقلب العداء الخفي إلى عداء علني لكن أيًا من مخاوفها لم يحدث وذلك أن تصرف روز المتحفظ المبتعد جعل من الصعب تحديد نوعية علاقتها مع أقرانها في المدرسة . . . ولو أنهم عاملوها معاملة سيئة ، فإن هذا لم يظهر عليها .

لم تعد ترى نيل . . . بل لم يعد بينها وبينه اتصال منذ ذلك الصباح . . . كان بعيدًا عن الأنظار ، وبعيدًا عن المنال .

وكان عليها العيش مع هذا الألم كل يوم . في البداية هدهدت الأمل في أنه قد يتصل بها ليتأكد من أنها على ما يرام .

لكنها بعد انتشار خبر فسخ الخطوبة عللت نفسها بأن الخبر وصل إلى مسمعيه فلمًا أمعنت التفكر رأت أن معرفته هذه

www.riwaya.net مكتبة رواية

لن تزيد إلا في عدم اكتراثه بها انه دون شك يعتقد أن انتقامه يبلغ ذروته بإزاحتها نهائيًا عن حياته . . . وهذه الحقيقة القاسية سببت لها الخدر . ومع ذلك فلم تكن تسير في شارع أو طريق دون أن تتوقع لقاءه ، فحيثما حلت كانت تنظر إلى كل ما تصادفه .

بل إنها لم تكن قادرة على البوح بما يؤلمها لأحد . ومن الطبيعى أن يفترض الجميع أن عذابها هذا إنما لأجل بيتر ، وعليه فلا تلومن إلا نفسها .

وجدت أخيرًا أن لا حَلَّ إلا بابتعادها نهائيًا عن شارلڤيل . لكن إلى أين تذهب ؟ إلى ملبورن ، وكانبرا وهما من المدن الكبيرة التي لا تجتذبها ومع ذلك أحست بحاجتها إلى السلوان الذي قد توفره مثل هذه المدن المليئة بالعمل كي تدفن نفسها

وذكرياتها . هي على الأقل لن تشعر هناك بأنها مراقبة تحت مجهر .

رفعت كتفيها عند وصولها إلى الممر المرصل إلى المنزل . . . أمها ما زالت . غير راضية لذا تعاملها بمزيج من المعاناة والتوبيخ الصامت ، الذي وجدته سوزان يرهق الأعصاب .

كانت أمها مشغولة بتحضير وجبة المساء . كانت تنحنى فوق الفرن عندما دخلت سوزان فلما رفعت وجهها بدا أحمر اللون فهل السبب الطهو أم

الغضب ؟ هذا ما لم تستطع التأكد منه إلا بعد أن استقامت السيدة بيل ، وضربت باب الفرن بشدة غير ضرورية ، ورمقت ابنتها بنظرة امتعاض ظاهرة . فسألتها سوزان :

– أبك شيء ؟

جلست إلى طاولة المطبخ ، وجذبت إليها إبريق الشاي والفنجان . . . فأمها وإن كانت تضعها في اللائحة السوداء لم تمنع العادة القاضية بوجود شراب ساخن بانتظارها. ردت السيدة بيل بلهجة ساخرة :

– أوه . . . لا . فماذا قد يكون هناك ؟

حملت السكين تنقض بها بغضب على كمية بطاطا فتنهدت سوزان . . . وقالت بصبر :

– هذا ما أنتظر أن تخبريني عنه .

ضحكت الأم ساخرة :

– إذن هي لم تخبرك . . . حسنًا أعتقد لا جرأة لديها لتخبرك في ظل هذه الظروف .

www.riwaya.net مكتبة رواية

حركت سوزان السكر في الشاي باستسلام :

– من التي لم تخبرني ؟ وما هو الذي يجب أن أعرفه ؟

ملأت السيدة بيل القدر بالماء ثم ضربته فوق الفرن :

– جولي بيترسون ، هذه هي ! لقد ابتهجت أمها وهي تخبرني بعد الظهر عن أنها ستذهب إلى حفلة عيد الميلاد الراقصة في الأسبوع القادم برفقة بيتر .

فردت سوزان بهدوء :

– لا . . . لم تذكره أمامي . . . الآن فهمت تلك الهمسات التي كانت تجري . في الزوايا خلال اليومين الماضيين .

نظرت أمها إليها :

www.riwaya.net مكتبة رواية

– إنك لا تبدين دهشة حتى . . . ألا يهمك أن فتاة أخرى حلت مكانك ؟

فتنهدت سوزان . . . وقالت بصدق :

– لا . . . ليس على وجه التحديد . . . لك أقرُّ أن جولى لا تهدر وقتها سدى .

رفعت السيدة بيل عينيها نحو السماء :

– أهذا كل ما يمكنك قوله ؟ حسنًا . . . لقد خسرته الآن يا سوزان . بينما استولت عليه جولر بيترسون التى لن تتخلى عنه بسهولة .

مالت سوزان إلى الأمام ، وقد بدا في صوتها رنة الجد :

www.riwaya.net مكتبة رواية

– أمي . . . يؤسفني انزعاجك . اعلمي يا ماما إنني لا ابه أبدًا فيما لو أراد بيتر الارتباط بجولي ، بل إني أتمنى لهما التوفيق .

– يا لكرم الأخلاق ! . . . أوه يا سوزان ، بعد أن كانت الفرصة بين يديك . ها هي تضيع وتغدو جولي هي المرأة التي سيتزوجها في حين تبقين أنت عانسًا .

أجبرت سوزان نفسها على الابتسام :

– تبدين واثقة من أن هذا ما سيكون عليه مصيري .

عاودت السيدة بيل هجومها على البطاطا :

– أنا واثقة من شيء واحد . إن كنت ما زلت تسعين خلف نيل ميرلاند فأنت ترتكبين غلطة فظيعة . . . فلديه سمكة أخرى يحضرها لنفسه .

جلست سوزان جامدة ، تحاول جاهدة تجاهل ما قالته أمها ، لكنها لم تستطع . . . فهي تريد أن تعرف ما وراء كلماتها هذه . فكان أن سألتها أخيرًا :

– هل تحاولين إخباري عن شيء ما ؟

رفعت الأم يدها لتدفع خصلة عن جبينها :

– إذن ، فالأمر يتعلق به .

رفعت إلى ابنتها نظرة اختلطت فيها الشفقة بالغضب :

– أيتها الحمقاء سوزان . ألم يحذرك أحد أنه لم يعد مهتم بك يا عزيزتى . ليس بعد أن عادت حبيبته إليه .

فجف فم سوزان :

– حبيبته . . .

لما لم تقدر على إتمام الكلام هزت السيدة بيل رأسها :

– لقد أوصلها الباص في منتصف النهار من ملبورن ، تحمل على حد قول السيدة بيترسون حقيبتين ضخمتين . وهذا خير دليل على أنها تنوي الإقامة في قصر كوانتون .

لاحظت فجأة الشحوب الذي اعتلى وجه ابنتها فالتوى فمها :

– أوه يا سوزان إنه لا ينفعك . ولن ينفعك أبدًا . لماذا لا تصدقينني ؟ بعد كل العذاب الذي مررت به . . .

عضت سوزان على شفتها مقاطعة :

– لا بأس يا أمي . كنت أعلم أنها قادمة . لقد ذكرت روز هذا الخبر أمامي .

قالت الأم بغضب :

– المسكينة الصغيرة . كل ما أتمناه هو أن يكون مستعدًا لفعل ما هو مناسب لهما الآن .

– أجل .

هبت. سوزان عن الكرسي بشات وخرجت إلى الردهة . توقفت ، ثم نظرت حولها وكأنما استيقظت من سبات عميق

www.riwaya.net مكتبة رواية

لتجد نفسها في أرض غريبة ، فإِذ بها لا تعرف أين تذهب . . . ولكن إذا كان هناك من سبيل للخلاص فهي على ثقة من أنها ستعرفه . ومع ذلك فالفرار ليس متوفرًا لها الآن .

في مكان ما . . . بطريقة ما . . . ستجد القوة لتمضي أيامها الأخيرة هنا . وعندما تسافر ، سترفع رأسها عاليًا بكل كبرياء . . . دون أن يعرف أحد . . . حتى نيل . . . يا إلهي . . . خاصة نيل ، بالعذاب الذى يعصر روحها .

نزلت لتناول الفطور متأخرة في الصباح التالي فوجدت التحضيرات لعشاء مبكر قد بدأت . أمها تطير من زاوية إلى أخرى في المنزل ، جاهزة للخروج لا ينقصها سوى المعطف . . . فجلست سوزان على مقعدها قرب الطاولة وقالت :

– أوه . . . يا الله ! كدت أنسى أن سوق عيد الميلاد هو اليوم .

– أجل . . . لا بأس يا عزيزتي. أعلم انك قلت لي انك ستساعديني لكنني أفهم تماما عدم رغبتك في هذا . . . أستطيع تدبير نفسي .

هزت سوزان رأسها بالرفض :

– لا . . . أود أن أساعدك فأنا بحاجة لما أفعله .

السوق المفتوحة ، التي تقام عادة في قاعة الاجتماعات الضخمة فى مبنى البلدية ، كانت أكبر مناسبة تقام خلال السنة كلها وتنظمها جمعية السيدة بيل تحمل مشعل هذا الحدث منذ سنين عديدة تساعدها ابنتها إما بالخدمة وراء واجهة بيع أو في تقديم الشراب .

وهذا الحدث الشعبي يجتذب زائرين من كل المنطقة ، فينطلق العمل على قد وساق حالما تفتح الأبواب . . . سوزان ، التي كلفت بالمساعدة فى بيع بطاقات المعايدة ، بقيت مشغولة جدًا ، حتى كادت تنسى

مشاكلها . . .

رغم السرعة في العمل ظلت تحس بطريقة لا تبعث على الارتياح بأن شيئًا ما خاطىء . النساء الثلاثة اللواتي كن يشاركنها العمل هن من المعارف القدامى بل هن يعرفنها منذ الولادة ، ومع ذلك ، لم يعاملنها إلا ببرودة , اعتقدت أن سبب سخطهن هذا مرده إلى فسخ خطوبتها ، لكنها مع الوقت رأت أن تصرفاتهن لا تُفهم . فهي لم تعلم أن بيتر

www.riwaya.net مكتبة رواية

مشهور محليًا . بل مع المشاكل التي كانت تسببها شركته مع العمال ، قد تكون الحال عكس ذلك تمامًا .

تنهدت قليلاً ، ثم عاودت ترتيب ما تبقى من بطاقات . تقدمت منها السيدة ارميتاج المسؤلة عن الواجهة ، وقالت :

– إنهم يقدمون الشاي الآن يا آنسة بيل . . . ألا تريدين الذهاب لتناول القليل منه ؟

تنادى بالآنسة بيل من امرأة كانت تناديها منذ المهد باسم سوزانا وليس ذلك فحسب بل إن النساء يرفضن مشاطرتها احتساء الشاي . احمر وجهها قليلاً ، وقبلت الوضع ثم سارت إلى الغرفة الجانبية حيث يُقدم الشاي .

تأملت ما حولها عفويًا فتعرفت على عدة وجوه مألوفة .

ولكن بعد أن أخذت صينية الشاي واتجهت إلى طاولة ، كان عليها أن تعترف بأن الاستقبال كان باردًا ، على أقل تقدير .

في هذه اللحظة أحست بالامتنان لأن الطاولة فارغة ، فقد بدأت تحس بأنها لن تطيق أي تكبّر آخر من قبل أناس هم في العادة لطيفون معها ، جلست ، ورفعت صحن السندويشات والكيك عن الصينية ووضعته على

الطاولة ، فأحست بمن يقف إلى جانبها . رفعت نظرها لتجد بيتر يقف هناك ترافقه جولي بيترسون ، التي بدت براقة العينين وجذابة ، ترتدي معطفًا جديدًا .

قال بيتر بسماجة :

– مرحبًا سوزان . هذه مفاجاة سارة .

www.riwaya.net مكتبة رواية

فردت بكل هدوء وهي تدرك أن العيون الفضولية تنصب عليها :

– ليست مفاجأة . . . فإذا كنت تذكر ، أنا أساعد النساء في العمل كل سنة :

فضحكت جولي ضحكة اصطناعية :

– أوه . . . لكن هذه السنة كنا جميعًا نظنك . . . ماذا يقال ؟ مبتعدة عن الأضواء .

أضافت سوزان السكر إلى الشاي وحركته :

– لِمَ ؟

فقالت جولي بحدة :

– ألا تعرفين لِمَ ؟

أمام ذهولها ، لاحظت سوزان أن بيتر وكزها بمرفقه لتسكت .

ثم نظر إلى سوزان بقلق :

– أنا . . . أنا آسف بشأن هذا يا سوزان ، هذا الوضع ليس مريحًا لك ، ولكن أريدك أن تعرفي أنه ليس من صنعي . . . أنا بل أنت جررت هذا إلى نفسك .

ثارت من قوله ، فردت :

– أتمنى لو أعرف عما تتكلم فأنت لا تتكلم بالألغاز عادة .

– ألا تعرفين ؟

بدا قلق بيتر أكثر وضوحًا مع كل لحظة تمر . . . نظر إلى ما حوله في الغرفة ، التي أصبحت العيون فيها تلاحقه ، عندها استدار عنها وهو يقول :

www.riwaya.net مكتبة رواية

– تعالي يا جولي . . . أظننا أمضينا ما يكفي من وقت هنا .

– بل أكثر من اللازم .

نظرت جولي إلى سوزان نظرة احتقار ثم أردفت :

– علينا أن نسرع . . . ،فالسير دايفد يكره الانتظار .

رمقتها سوزان بنظرة هازئة ثم قالت بلطف :

– حفلة عشاء فى القصر ؟ أمامك عمل كثير .

لمعت عينا جولى بخبث وشر وردت بتركيز :

– أنت آخر من يحق له أن يتكلم ! فأنا على الأقل سأنهي السهرة ثم أنام في فراشي !

أحست سوزان وكأنما يد باردة تعصر معدتها :

– ماذا تقصدين ؟

هزت جولي كتفيها :

– اسألي السيدة لاڤنغهام فأنا واثقة إنها ستكون مسرورة بإعلامك . . . حسنًا يا بيتر أن قادمة .

استدارت على عقبيها مبتعدة تاركة سوزان تكافح لتستعيد هدوءها .

دفعت طبق الطعام بعيدًا ، وهي تحس بعدم القدرة على تناول قطعة منه فوقفت مسرعة . إذ يجب أن تصل إلى حقيقة ما تقول . كانت في المدرسة متأكدة من أن هيلدا هي سبب الجو المزعج . وعلى مايبدو الآن أن أمها هي من تولد العداء الذي تشعر به . . . ولكن لماذا ؟ ألأن ابنتها لم تنل الدور الذي تشتهيه ؟

www.riwaya.net مكتبة رواية

حملت فنجان الشاي الفارغ نحو الطاولة الكبيرة حيث كانت تقف السيدة لاڤنغهام التي رمقت سوزان بنظرة عدائية وقالت بلهجة تحمل الإهانة في طياتها :

– المزيد من الشاي . . . آنسة بيل ؟

مدت سوزان يدها بالفنجان بكل هدوء :

– شكرًا لك . . . كيف هى العائلة ؟

صبت السيدة لاڤنغهام الشاي في الفنجان ثم أضافت الحليب :

– بخير كما هو متوقع .

– أخشى أن تكون هيلدا قد خاب أملها لعدم نيلها الدور في تمثيلية الميلاد .

فجاءها الرد البارد :

– كلنا خاب أملنا . خاصة لورا .. التى كانت تضع آمالها فى شقيقتها الصغرى لتمثل الدور الذى كانت تمثله وعندما سمعت من اخترت بدلاً عن صغيرتنا . . . تكدرت جدا.

قالت سوزان بهدوء :

– آسفة لشعوركم هذا . لكنني أعتقد أنكم عندما تشاهدون التمثيلية ستوافقون على أن لدى روز صوتًا جميلاً و . . .

بدا الازدراء واضحًا في لهجة السيدة لاقنغهام وهى تقاطعها :

– صوتًا جميلاً ! لن تخدعي أحدا بهذه الرواية يا آنسة بيل ، رغم نيلك درجة علمية جيدة فأنت لست أفضل من لورا التي

تعمل الآن خادمة في فندق لكنها تحافظ على احترامها لنفسها .

احست سوزان بالسقم من الحقد البارز في لهجة المرأة ، قالت بسرعة :

– على الابتعاد قبل أن تقولى شيئًا قد تندمين عليه . . .

حاولت الالتفات ، لكن السيدة لاڤنغهام أمسكت ذراعها متناسية نظرات الناس المحدقين :

– أتريدين معرفة أين تعمل لورا يا آنسة ؟ إنها تعمل في فندق ليس ببعيد عن البلدة . وليلة الثلاثاء كانت في الخدمة وشاهدتك عندما وصلت ، وشاهدتك عننما غادرت . . . يومها كنت خطيبة رجل آخر .

www.riwaya.net مكتبة رواية

شحب وجه سوزان والمرأة تردف :

– لن تخدعينا بعد الآن بجوك وامتيازاتك . . . منحت روز ذلك الدور لترضي الرجل الذي تهوينه . . . وقد سمعت أن هذا أفادك كثيرًا .

سمعت سوزان صوتها يخرج منها فاقد الحس ميتًا :

– أنت مخطئة . . . مخطئة جدًا . . . فأنا لم . . .

احست فجأة بالآذان الصاغية الملتفة حولها تلتقط كل كلمة لعينو تطايرت من فم السيدة لاڤنغهام . بدت هذه العيون ملهوفة لتلقي آخر الفضائح التي ستخترق البلدة الصغيرة .

نزعت يدها من المرأة واتجهت نحو الباب ، وقد غشيت عينيها الدموع إلى درجة جعلتها لا ترى من الواقف بالباب

www.riwaya.net مكتبة رواية

حتى اصطدمت به . أمسكت يدان قويتان كتفيها وهي تترنح ، فأجبرتاها على البقاء منتصبة . عندئذ

ارتفعت عيناها الدهشتان إلى نيل . . . فهمست بانكسار :

– أنت . . . أوه يا إلهي يا نيل . . . دعني أذهب !

فقال متجهمًا :

– لا تكوني حمقاء . . . أنت لست فى حالة تسمح لك بالذهاب إلى أي مكان . . . إيل . . . احضري لنا ذلك الكرسى .

أحست سوزان بعطر غريب محير . . . فرفعت نظرها لتشاهد وجهًا بيضاويًا فاتناً وعينين سوداوان لوزيتي الشكل ، وفماً

www.riwaya.net مكتبة رواية

ناعمًا ترتسم عليه ابتساهة شفقة . . . فهزت رأسها وقالت بصوت مرتجف :

– أرجوك . . . ليتك تحضر معطفي فقط ، يجب أن أخرج من هنا . فأنت لا تعرف . . . .

– أظنني أعرف . . . لن تتعبي وحدك . سآخذك إلىء المنزل . . . إيل . . . هل ستكونين على ما يرام ؟

لا تدري متى أصبح المعطف حول كتفي سوزان ، أو متى خرجت من بين الجموع . . . شهقت :

– ولكن . . . إيل . . . لا يمكنك تركها هنا .

– لِمَ لا ؟ . . . لن تصاب بأذى ، فكل ما تراه جديدًا بالنسبة إليها ، أتذكرين ؟

www.riwaya.net مكتبة رواية

- أعتقد هذا.

بقيت صامتة إلى أن انطلقت السيارة بهما عبر السوق المزدحمة . وكان وجه نيل متجهمًا لا يلين وهو يقود السيارة القوية غبر الشوارِع . ردَّت سوزان رأسها إلى كتف المقعد الجلدي الناعم، وأغمضت عينيها . . . لكنها حاليًا باتت تعرف مصدر السم الذي دخل حياتها . وتسللت دمعة إلى خدها . وإذ بنيل يلعن بصوت منحفض والسيارة تتوقف فجأة .

فتحت عينيها والدوار ما زال يستولي عليها فرأت أنهما توقفا في شارع فرعي صغير .

احتوتها ذراعا نيل ، وجذبتاها إليه إلى أن أحست بضربات قلبه الحارة المنتظمة تحت خدها ، بكت . . .

www.riwaya.net مكتبة رواية

طويلاً ، دون صوت ، دون تفكير من الجرح والألم والإذلال

، بينما احتوتها يداه وأخذ صوته يتمتم بأشياء

لم تكد تسمعها. وعندما تمكنت من السطرة على صوتها

قالت :

– أتعلم . . . أتعلم ماذا حدث ؟

صمت للحظات ثم قال :

– أجل . . . سوزان ، فليشهد الله علي ، أنني ما رغبت في

ما آلت إليه الأمور . . . لم احلم أبدًا . . . اوه . . . اللعنة

!

لم تدرِ ما إذا كان غاضبًا من نفسه أم منها .

www.riwaya.net مكتبة رواية

أمتدت يده إلى ذقنها ، يرغمها على رفع رأسها إليه ، ثم راح يقبل الدموع المساقطة على وجنتيها . . . فما كان منها إلا أن طوقت عنقه بذراعها ووضعت أصابعها فى شعره الأسود ، والصقت جسدها النحيل بجسده بتجاوب صامت .

همس باسمها متأوهًا ثم أبعدها بقوة عنه . . . جلس للحظات يمسك المقود بقوة ، يقاوم ليسيطر على نفسه ثم مد يده ليدير المحرك .

– سأرافقك إلى المنزل .

انتهت الرحلة بسرعة ، كانت سوزان خلالها تحدق أمامها دون أن ترى . عندما توقفت السيارة ، أجفلت ، وتمسكت بمقبض الباب . . . فقال نيل :

– انتظرى . . .

www.riwaya.net مكتبة رواية

خرج ثم لف إلى أن وصل إلى بابها ففتحه ، وامسك بذراعها وساعدها على الخروج ، وقادها إلى بوابة المنزل . . . .

فحاولت الخلاص منه .

– شكرًا لك . . . . أنا بخير الآن .

– لا تكوني حمقاء . . . أنت لست في حالة تسمح بتركك وحيدة .

فانتزعت ذراعها منه بقوة :

– لا أريد شفقتك !

– ولن تناليها مني .

تهدج صوتها وارتجفت يدها وهي تدخل المفتاح في القفل .

– نيل أرجوك اذهب .

فمد يده ليمسح خدها بنعومة :

– سأذهب حالاً .

دفعها بقوة ونعومة إلى غرفة الجلوس .

– هيا اجلسي . . . سأصنع لك القهوة .

– لكنك لا تعرف أين تجد الأغراض .

– لا عليك . . . افعلي ما أطلبه منك.

دخلت غرفة الجلوس ، اضاءت فيها المصباح الطويل الواقع عند الزاوية ، ثم أغلقت الستائر ، وأبعدت حاجز الحماية من أمام المدفأة ، وزادت النار قوة .

عاد نيل يحمل فنجانين يتصاعد منهما البخار ، ووضعهما على طاولة صغيرة قرب الأريكة . ارتشفت قليلاً منه وشهقت :

– إنها حارة !

– وهل فقدت حاستك !

أحمر وجهها وقد تذكرت عندما شربت معه آخر مرة وقالت :

– لا أظني أحبها ساخنة . . . فهل تعتبرها جرعة دواء ؟

– لا . . . بل أعتقد أن شجاعتك وحدها ستجعلك تتغلبين على كل شيء ياسوزان .

– أشكرك على النصيحة . هل أنت راضٍ الآن فأنت حققت ما أردته كله . . . أردت أن تراني . . . محطمة كذلك ؟ حسنًا . . . وقد تحطمت يا نيل . . . وها أنا الان جاثية على ركبتي !

– أنا مضطر لتصديقك ، فأنا لم أكن لأصدق أبدًا أن عواطفك قد تشارك في هذا كله .

فضحكت بمرارة :

– لا ؟ . . . لا بأس يا نيل . . . لا تهتم بالأمر . . . سجلها فقط على أنها زلة مراهقة أخرى . . . لكنني هذه المرة لم أؤذي سوى نفسي . ما حدث عدل قاسي . لذا يجب أن تكون مسرورًا .

www.riwaya.net مكتبة رواية

شتم في نفسه بحدة ، ثم وضع فنجانه بعنف جعل نصف محتوياته تسيل على السجادة .

– فليذهب العدل إلى الجحيم . . . فأنا لا آبه به . . . لكن أصحيح أنها زلة يا سوزان ؟ أريد أن أعرف بحق الله !

ارتدَّت إلى زاوية الأريكة وعيناها تتسعان بوحشية وقد رأته يقترب منها .

– لا . . . لا يجب أن . . .

– ومن سيمنعني . . . أنت ؟ لا أظن هذا يا سوزان ، إنني الآن أريد الحقيقة .

ثقل جسده سحقها على مفارش الأريكة ، فقاومته وعيناها مغمضتان ، فمها مشدود بقوة ، ويداها تضغطان على صدره

www.riwaya.net مكتبة رواية

. . . ثم أدركت ، وقد غمرها الخجل ، أنها لا تقاوم سوى نفسها ، فلم يكن يبدو على تصرفاته أي أثر للانتصار ، بل رغبة مكبوتة . يعيقها حاجز صغير ولن يحتاجا إلا إلى القليل القليل ليرفعاه .

عندما رفع رأسه أخافها وأثارها ما رأته في وجهه .

أغرتها أفكارها هنيهة ، ففكرت في أن تنتزع ما تستطيع من السعادة ما دامت قادرة على ذلك ، كلمة واحدة منه تنقلها إلى الجنة . . . لكن أي جحيم سيحل مكان تلك الجنة في النهاية .

برزت أمامها صورة إيل سونغ فجأة ، بكل سحرها وجمالها .

ثم تذكرت روز . . . أخيرا سنحت الفرصة لروز في أن تستقر

www.riwaya.net مكتبة رواية

في «بيت» . . . وحياة عائلية . ونيل لهما الآن . وهما في انتظاره حتى في هذه اللحظة .

صرخت صرخة خافتة ملؤها الازدراء ثم جذبت نفسها عنه قائلة بانكسار :

– لا يحق لك . . . لا يحق لك أبدًا .

فتراجع بصمت قائلا :

– لا . . . معك حق . . . اعرف هذا .

التقط معطفه . . . فراقبته دون كلام . . . قال بهدوء بعد أن شد حزام المعطف .

– إذن . . . هو الوداع . ليت الأمر كان مختلفًا . . . لكننى أعتقد أنه كان مستحيلاً على الدوام . فلقد حدث الكثير. . . وحصل ألم كبير . . . ومرارة كثيرة .

– لن نجرح أحدًا بعد الآن .

ضحكته المنخفضة الخالية من المرح ، أرسلت خنجرصا يدويًا في قلبها .

– آه . . . . لا . . . لن نجرح أحدًا . . . الوداع يا ساحرتى الحلوة . . . لا أطلب منك إلا السماح .

بقيت حيث هي دون حركة لكنها سمعت الباب الأمامي وصوت السيارة المنطلقة . نظرت دون وعي إلى الفنجانين ، تقول لنفسها إن عليها إبعادهما ، وإحضار قطعة قماش تمسح بها السجادة عليها أن تقوم بمئة

www.riwaya.net مكتبة رواية

شيء حتى تترك ألم الخسارة والشوق الذي بدأ يغمرها مكبوتًا .

لقد ذهب نيل . . . وهي من أرسلته إلى إيل سونغ . . .

وإلى روز التى تحتاجه إحساسها بأنها فعلت ما هو صائب لم يكن تعزية كافية لمشاعر اليأس التي اكتسحتها .

جلست فترة طويلة في غرفة الجلوس الهادئة ، جاحظة العينين ، شاردة ، يائسة . لكنها لما سمعت باب المنزل يفتح وصوت أمها يناديها عادت إلى الواقع الأليم .

أجبرت نفسها على الرد ، وبعد لحظة دخلت أمها ، تفك أزرار معطفها ، ثم أضاءت المصباح الرئيسي لتشع الغرفة بالنور .

– أوه . . . هذه أنت يا سوزان . لقد تساءلت عما حل بك . فقد قالت السيدة ارميتاج أنك انصرفت باكرًا . . . ظننتك مريضة .

– أهذا ما قالته ؟

– حسنًا . . . لم تقل الكثير . . . ولا أذكر ما قالته . . . لكنني أعرف أن تصرفاتهم كانت غريبة اليوم . كانو يمررون أغرب الملاحظات . . . أزارك أحدهم ؟

نظرت إلى الفنجانين ، فقالت سوزان :

– نعم . . . ألم يخبروك . . . أن نيل ميرلاند أوصلني إلى المنزل ؟

فقالت بحدة :

– لا . . . لم يخبرني أحد . . . وهدا عجيب . . . فلم يذكر إلا اسمه حتى أحسست به يقبض على خناقي . . . هل تظنين أن هذا حكيمًا ؟

– ربما لا . . . لكن لم يعد يهم الآن . لقد ذهب ولن يعود . . . وربما سيتزوجان عما قريب .

– لقد كانت معه ، وكذلك الطفلة . قال الناس إن هذا وقاحة .

فتنهدت :

– الناس هكذا دائمًا . ماذا كانوا يتوقعون ؟ أن يسجنهما بين أسوار قصر كوانتون ؟

– إنها امرأة جميلة جدًا وقد يسير كل شيء نحو الأفضل .

www.riwaya.net مكتبة رواية

غطت سوزان ألمها بقناع السخرية :

– أفضل ما في هذه الدنيا ؟

فمالت أمها نحوها :

– سيكون كل شيء ما يرام . . . صدقيني يا سوزان . . .
انه لا يناسبك . . . إنه متقلب . . . غير مستقر وكان
يرغب فى جرك وراءه حول العالم . . . طفلة مثلك . . .
توقفت عن الكلام فجأة وبقعتان حمراوان على خديها ،
ارتفعت يدها لتغطي فمها . . . فحدقت إليها سوزان وقد
بدأ شعور بعدم التصديق يجتاحها :

– أمي . . . عمّا تتحدثين ؟

وقفت السيدة بيل ، ثم مدت يدها إلى معطفها بيدين مرتجفتين عجزت عن أن تثبتهما .

– لا شيء . . . أريد . . . أن أعلق هذا . . .

انتزعت سوزان المعطف من أصابع أمها المرتخية ثم أشارت إليها لتجلس . . . وقالت بصوت رقيق :

– فيما بعد يا أمي . . . والآن ما الذي يجعلك تعتقدين أن نيل أراد أن يأخذني حول العالم معه ؟ إنه لم يقل لي هذا مطلقًا . . . فهل قاله لك ؟

ارتجف فم السيدة بيل ثم قالت هامسة :

– لقد فعلت هذا من أجلك . . . يجب أن تصدقيني سوزان . . . كنت صغيرة . . . وما كنت تعرفين ما تريدين .

– ماذا فعلت يا أمي؟

تنهدت الأم مرتجفة ثم قالت :

– انتظري هنا .

لم تغب عن الغرفة سوى دقائق ، وعندما عادت كانت تحمل مغلفًا ، أعطته لسوزان ، التي لاحظت بذهول أنه موجه باسمها من نيل . فحدقت إلى أمها وسألت :

– متى وصل هذا ؟

– انظري إن ختم البريد .

نظرت سوزان إلى الختم ثم صاحت متعجبة :

– منذ آب ؟ لكننا في كانون الأول اليوم ! وصل منذ خمسة أشهر تقريبًا .

www.riwaya.net مكتبة رواية

هزت السيدة بيل رأسها :

– منذ سبع سنوات . كنت مسافرة عندما وصل ، وبما أنك كنت صغيرة ، رأيت أن الخير في ألا تستلميها .

أخرجت سوزان الرسالة من المغلف وفتحتها . . . لم تكن رسالة طويلة :

« سوزان . أردت رؤيتك قبل سفري ، لكن كان هذا مستحيلاً . لا يجب أن تلومى نفسك على ما حدث في الحفلة. لأنه كان بيني وبين عمي مشاكل عديدة منذ زمن . أما أنت فما كنت إلا حافزًا صغيرًا له . غضبت منك فترة لكي عندما تذكرت صغر سنك وخوفك . . . على كل الأحوال ، لن أبقى غاضبًا منك لفترة طويلة . حدث شجار آخر قبل أن أترك القصر. ولقد قلت لعمي إنني سأعود بعد

سنة لأتزوجك ، فغضب وقال إنني لو فعلت فلن أرى قرشًا واحدًا من ماله ، ولن أرث القصر . حسنا يا ساحرتي الحلوة ، هل تتنظريني سنة ؟ لا أستطيع أن أعدك بحياة رغيدة . فقد لا يكون لدينا منزل مستقر لبعض الوقت . فالشركة سترسلني في بعثة تنقيب إلى الصين ، وسأتوجه إلى هناك بعد أسبوعين ، فإذا لم تردي على رسالتي حتى ذلك الوقت ، فسأعرف أنك فعلا كنت صغيرة السن . . . نيل» .

رفعت سوزان رأسها ، ونظرت إلى أمها متمتمة :

– كيف أخفيتها عني ؟ أخفيتها طوال هذا الوقت .

. . لكن لماذا ؟ لا أفهم .

– كنت صغيرة . . . أصغر من أن تقرري ما إذا كنت راغبة في الذهاب مع رجل كهذا أم لا . كنت خائفة عليك .

عادت للتحديق إلى الرسالة ، ثم قالت بصوت هامس :

– وهكذا ذهب ، يعتقد أنني لا أريده . . . وأن كل ما حدث كان نزوة مراهقة وهناك التقى بإيل . . .

تنهدت السيدة بيل بغضب :

– لم يحتج إلى وقت طويل حتى ينساك . كان الخير أنك لم تقعي في شباكه .

– لم يذكر الرسالة قط .

أخرجت السيدة بيل منديلاً راحت تمسح به عينيها وفمها . . .

– لا . . . وعدني بأن لا يذكرها أمامك . كما أنني لم أشأ ذكرها إلا في المستقبل أي بعد أن تتزوجي من بيتر .

– متى وعدك بهذا ؟

أطرقت السيدة بيل براسها نحو الأرض .

– جاء إلى البيت في إحدى الليالي ومعه كتب قال إنك نسيتها عنده في الفندق . . . أراد أن يتحدث إليك . . . لكن . . . ولكنني قلت له إنك سعيدة مع بيتر ، وإنكما تشاجرتما قليلا لكن سرعان ما ستعود المياه إلى مجاريها وإنكما ستتزوجان بعد الميلاد مباشرة وتعيشان في قصر روسمان .

– آه فهمت .

أحنت الأم رأسها وقالت :

www.riwaya.net مكتبة رواية

– لا أتوقع منك أن تفهمي . . . يومًا ما سيكون لك ابنة . . قد تفهمين . . . لقد مضت علي سنوات قاسية وأنا أتظاهر بأنني لا أعرف شيئًا . أدعو الله حتى لا يرجع . . . ولما التقيت بيتر حمدت الله لأنك ستستقرين . . . ولكن ما أن ظهر وجهه تبعته .

تنهدت بمرارة . وتابعت :

– لكن . . . انتهى الأمر الآن . . . أليس كذلك يمكننا أن ننسى يا سوزان ونبدأ حياتنا من جديد ؟

نظرت سوزان إلى وجه أمها الأبيض من جراء الشحوب وأجبرت نفسها على الابتسام :

– نعم . . . لقد انتهى .

9- لا ندم لا ذكريات

مواجهة زملائها في المستشفى لم تكن الأسهل لكنها الآن على الأقل تعرف بما يفكرون وما يفكرون فيه ليس التحقيقة كاملة فهم دون شك يعتقدون أنها فضلت روز على هيلدا حتى ترضي حبيبها .

كانت باردة وحادة مع الجميع. عاينت مرضاها وأعطت تعليماتها للممرضات بدقة . وبطء وهي على يقين من أن جميع العاملين في قسمها مشغولون بما فيه الكفاية وهذا يعني أنهم لن يفتعلوا مشاكل لها .

مع مرور الأيام نجحت دبلوماسيتها ، والجميع عاد ليعاملها كالمعتاد . . . فحتى أولاد المدرسة عادوا إلى سابق عهدهم معها ، أو لعلهم قد تعبوا من هيلدا وإحساسها بأهمية نفسها .

روز أيضًا تغيرت . . . فقد بدت مختلفة منذ وصول والدتها . وجهها الصغير أشرق وغلت روحها بالمرح والسعادة . قالت لسوزان في استراحة بين التمارين :

– أمي تقول إنها ستبقى هنا لفترة . وعندما يفتح «الفندق» ستعمل فيه ونطبخ الطعام ونرتب الأسرة للناس القادمين للصيد والتسلق .

سألتها سوزان ، بألم :

– وأين ستقيمان ؟

www.riwaya.net مكتبة رواية

فكرت روز هنيهة :

– نيل بني لنا شقه ستكون جميلة جدًا ، وغرفة كبيرة حيث سينام فيها والديَّ .

ارتسمت ابتسامة كبيرة على وجه روز ورفعت نظرها إلى سوزان مردفة :

– سوزان سيتزوجان . . . أبي وأمى . . . قريبًا .

أجبرت سوزان نفسها على القول :

– هذا رائع .

أما في قرارة نفسها فقد كانت ترجو أن يتأخر الزواج إلى أن تغادر المنطقة . . . كانت تعد الأيام بفارغ الصبر حتى الرحيل لكنها لم تجرؤ إن تعلم أمها بأنها قد لا تقضي عيد الميلاد معها

، كانت السيدة بيل تريد أن تعوض على ابنتها ، لذا راحت تعمل حتى تقيم احتفالاً جيدًا . شعرت سوزان بأن من القساوة أن تدمر اماها ، لكن لا حل آخر أمامها . فقد كتبت إلى فندق ريفي تقضي فترة الميلاد فيه ، بعد انقضاء فترة الأعياد ستسعى لإيجاد وظيفة إما في سيدني أو كامبيرا في البداية وإن لم تنجح فقد تسافر إلى الغرب . . . إلى القاطع الآخر من أوستراليا .

لم تحضر سوزان الحفل السنوي الذي تقيمه البلدية في قاعتها الكبرى . . . لكن والديها ذهبا إليها . . . وفي الصباح التالى لم تخبرها أمها إلا أنها اشتكت من أن صوت المرسيقى قد سبب لها الصداع . . . لكن سوزان اعتقدت أن رؤية أمها لبيتر وجولي بيترسون هو ما سبب لها عدم الارتياح كانت أمها

مؤخرًا قد رضيت بوضع ابنتها الجديد فلم تعد تعترض أو تحتج .

لم تجرؤ سوزان على السؤال إذا كان نيل قد حضر الحفلة مع إيل سونغ ، لكن تكتم أمها جعلها تعتقد أنه كان موجودًا .

تساءلت في بعض الأحيان : يا ترى كيف كانت ستكون حياتها لولا تدخل أمها فيها بإخفائها الرسالة منذ سبع سنوات ولكنها وجدته سؤالاً مؤلمًا .

أما ما كان أكثر إيلامًا فهو الخبر الذي نشرته الصحف المحلية عن مشروع نيل القاضي باستضافة تلاميذ المدارس وطلاب الجامعات . كان على سوزان أن تعترف أن ما يقوم به هو عمل رائع في حقل العلاقات

العامة وقد ظهر واضحًا أن صاحب المقال يؤيد المشروع .

كان في الصحيفة الثانية مقال عن السير دايفد ومعارضته المشروع . لكنها ذكرت أن اعتراضه هذا ذهب أدراج النسيان لأنه اضطر إلى معالجة الوضع المتأزم مع عماله .

بعد ما قرأته سوزان علمت أن نيل لا ريب سيحصل على الترخيص الذي هو ربما الحاجز الأخير الذي يمنعه من الزواج من إيل سونغ . إذ عليه أن يثق أولا أن له عمل ثابتًا هنا كي يعيل عائلته ، وما أن يعطى التصريح . . . حتى تحل مشاكله .

بعد بضعة أيام بينما كانت سوزان تقف في ساحة السوق تتأمل واجهة أحد المحلات ، أحست بلمسة خفيفة على ذراعها . . . استدارت دهشة فرأت إيل سونغ تبتسم لها . لكن رد الابتسامة كلفها جهدًا كبيرًا .

– هل انت أفضل حالاً الآن ؟ كنت آمل أن ألقاك آنسة بيل . روز أخبرتني عن لطفك وعنايتك بها .

– هذا شيء لا يذكر .

حدقت إليها إيل سونغ بهدوء . . . وقالت :

– بل هو معروف كبير . . . فهذه بلدة صغيرة . وأنا كذلك من بلدة صغيرة . فى بلدتي قلوب دافئة ، لكن فيها أيضا أالسنة قاسية . والوضع في بلدتكم مشابه .

فهزت سوزان كتفيها :

– ربما .

أمعنت إيل سونغ فيها النظر برهة ثم ابتسمت قائلة :

– الطقس بارد . . . هل تشاركيني في احتساء فنجان قهوة ؟

www.riwaya.net مكتبة رواية

ترددت سوزان لحظة ، لكنها لم تجد ما يبرر رفضها. خاصة وهى لا ترى لمقاومة لطف إيل سونغ سبيلاً .

عندما كانتا تتجهان إلى أقرب مقهى . . . توقفت قربهما سيارة فخمة مألوفة أطل منها نيل . . . فحيته إيل سونغ :

– أوه . . . نيل . . . تسرني رؤيتك . . . أنا والآنسة بيل سنتناول القهوة .

لم تجرؤ سوزان على النظر إليه . . . بل لم تكن قادرة على لقاء عينيه . لذا حولت بصرها إلى الرصيف متمنية من كل قلبها أن تنشق الأرض وتبتلعها .

خرج بصمت من السيارة وفتح البابين لهما . كانت روز تقفز فرحًا في المقعد الخلفي وهي تحيي سوزان :

– أوه . . . آنسة بيل . . . سيحل عيد الميلاد قريبًا . . . وفي الأسبوع القادم سأمثل دوري في تمثيليتك . وبعدها موعد الزفاف . هل ستحضرين الزفاف آنسة بيل ؟

أرادت سوزان أن ترد ، أن تقول شيئًا خفيفًا مسليًا . . . أن تعتذر . . لكن الكلام أبى الخروج من فمها .

التفتت إليها إيل سونغ من المقعد الأمامي مبتسمة :

– ليتك تحضرين . . ، سنسر بك كثيرًا . . . بعد المراسيم سنقيم حفلة صغيرة في القصر . . . أليس كذلك يا نيل ؟

فرد باختصار :

– صحيح .

أدار السيارة باتجاه التلة نحو قصر كوانتون .

تراجعت سوزان إلى الخلف متفوقعة تتمتم شيئًا غير مفهوم عن عدم تأكدها من خططها ، واحست بنيل يوجه لها نظرة ساخرة فى المرآة .

عندما توقفت السيارة أمام أبواب القصر نزلت منها إيل سونغ ثم سارت أمامهم صاعدة السلم العريض . شعرت سوزان وهي تصعد بالبؤس الأنها متطفلة . . . كانت تأمل أن لا تضع قدمها في هذا المكان ثانية ، أو لا تقابل سيده وجهًا لوجه ، ولكن يبدو أنها لن تستطيع التهرب من شيء .

اعتذرت إيل سونغ بسبب فراغ القصر من الأثاث :

– فعل نيل خيرًا عندما لم يخبرني عن وضع المكان . لأنني كنت سأؤجل مجيئي إلى أن تنتهي شقتنا . أنت لم تشاهدي شقتنا بعد يا سوزان . . . هل لي أن أناديك باسمك ؟ ستكون شقة رائعة ، بعد أن يصل

الأثاث في الأسبوع القادم .

سارت إيل سونغ أمامها ، وهي تحس بالسعادة لوجود ضيف لديها تريه جناحها الخاص . . . لكن سوزان مرت بأسوأ اللحظات عندما اضطرت لصعود السلالم لرؤية غرفة النوم والحمام . . . اجتاحها ألم كبير عندما رأت غرفة النوم الكبرى التي سينام فيها مع زوجته .

قالت إيل سونغ بقلق :

– تبدين شاحبة يا سوزان . هل أنت بخير ؟

وفكت سوزان الزر العلوي من ياقة قميصها :

– أجل . . . يبدو المكان حارًا قليلاً هنا ، هذا كل شيء . . .

بدا على إيل سونغ الاهتمام فورًا ، فأخرجتها من الغرفة إلى الهواء الطلق . وعندما عادتا للدخول ثانية وجدتا روز تتمرن على غناء «طفل المغارة» فقالت سوزان وهي سعيدة لأن مسار الحديث سيتغير :

– إن غناؤها رائع .

أجابت إيل سونغ :

– أجل . . . لكن من المبكر أن نعرف إن كان في صوتها موهبة وليته لا يكون كذلك .

www.riwaya.net مكتبة رواية

– ألا تريدينها أن تصبح مغنية ؟

– أريد أن تكون سعيدة . فأنا ما كنت أفكر إلا بالغناء عندما كنت صغيرة .

– والآن أليس الغناء همك فقط ؟

– كل ما أريده حاليًا هو أن أؤسس بيتًا لابنتي . . . لم أفكر قط في هذا . . . لأننى كنت أريد أن أتابع مهنتي ، وعندما رفض تشاجرت معه ، وانفصلت عنه . كان المجد والشهرة بانتظاري . ثم اكتشفت أنني أحمل طفله . . . فغضبت ، وطالبته بالعودة ليفعل ما أريد ، لكنه رفض مرة أخرى ، وطالبني بالمجيء إليه .

– هذا ما فعلته في النهاية .

www.riwaya.net مكتبة رواية

– أجل . . . لكن كم أضعت من السنين . إننا حتى الآن لن نكون معًا كما أتمنى . . . لقد تغيرنا ، وأنا أعرف هذا ، لكن ربما تكون أكثر حكمة حاليًا . أعلم أن علي القبول بفرصة بناء حياتنا من جديد .

– ألا تشتاقين لمهنتك الآن ؟

هزت إيل سونغ رأسها وقالت بهدوء :

– لا . . . فلدي مهنة أخرى في الوقت الحاضر.

بعد القهوة ، رافقت سوزان إلى الباب ، وودعتها مصافحة قائلة إنها تتشوق لرؤيتها ثانية في حفل الميلاد . . . لكنها لا تعرف شيئًا عن رحيلها قبل ذاك الموعد .

www.riwaya.net مكتبة رواية

سارت في طريق القصر الداخلية نحو الخارج . . . فسمعت وراءها هدير محرك ثم شاهدت سيارة نيل تلحق بها . . . فتنحت جانبًا لتدعها تمر ، ولكنه توقف أمامها وقال باختصار :

– اصعدي . . . سأوصلك إلى البلدة ، أو المنزل ، أو إلى حيث شئت .

– لا . . . الافضل أن أسير .

فنظر إليها ساخرًا :

– لا تكذبي . . . أنت لا تريدين الصعود معي .

– إذا كنت تعرف هذا ، فلماذا تصر .

www.riwaya.net مكتبة رواية

– أنا بصراحة ن لا أدرى . يبدو أننى مصاب بتعذيب النفس . . . على كل لست مستعدًا للجدل معك . . . اصعدي يا سوزان قبل أن أجبرك .

انطلقت السيارة ، بعد أن جلست محاولة قدر الامكان الابتعاد عنه . . . فقال :

– استرخي . . . لست مضطرة لتحمل رفقتي لفترة طويلة .

– أنت لا تسهل الأمور عليَّ .

– هل سهلنا أمور بعضنا أبدًا ؟

– لا . . . لن أدعي أنك لم تحذرني . . . عندما أردتني معك أخبرتني ستكون الحياة .

فنظر إليها بسرعة :

www.riwaya.net مكتبة رواية

– كيف عرفت ؟

– لقد أخبرتني أمي . . . أعطتني رسالتك لكن متأخرة سبع سنوات .

حاولت الضحك ، ففشلت .

– إن السنوات السبع وقت متأخر جدًا . . . لا تهتمي بها يا سوزان ، ضعيها بين أغراضك الخاصة للذكرى . . . ولا شك في أن لديك العديد منها . . . كما هو حالي تمامًا . أتريدين بعض ما احتفظ به ؟

أوقف السيارة بنعومة على حافة الطريق ، ثم مد يده إلى علبة السيارة الداخلية وأخرج شيئًا ملفوفًا بعناية في ورقة ، وضعها في حجرها :

www.riwaya.net مكتبة رواية

– أتذكرين هذه ؟

فتحت الورقة بحذر مقطوعة الأنفاس فإذ بها تنظر إلى وردة بيضاء صغيرة صناعية . . . هي من النوع الذي تستخدمه فتاة صغيرة لتثبيت شعرها في الحفلات . . . تابع نيل كلامه :

– لقد تغير لونها قليلاً وتجعدت . لكنها سافرت معي فزارت أماكن غريبة .

– اعتقدتني أضعتها . . . تلك الليلة . ما عرفت ما حصل لها .

– حسنًا ، لقد عرفت الآن . أليس لديك شيء تقولينه ؟

هزت رأسها بقنوط ، وعيناها تمتلئان بالدموع فجأة :

– وماذا عساي أقول ؟ لا أهمية لشيء . . . وكيف يمكن هذا ؟ يا إلهي . . . كم تستطيع أن تكون ظالمًا !

أدار محرك السيارة :

– إنه كلام مضحك .

بدأت سوزان تعيد لف الوردة ، فنظر إليها بحدة :

– ماذا تفعلين ؟

– أعيدها إليك .

– في الوقت الحاضر لم يعد من الملائم الاحتفاظ بها يا ساحرتي الحلوة . . . أو ارمها إذا رغبت .

– أو لن تهتم ؟

– ولِمَ أهتم ؟ ألا تذكرين أنك قلت منذ أيام إنه ليس من حقي أن أهتم . وهو تذكر رحبت به وأحاول معايشته لأمحو كل ذكرياتي القديمة .

وضعت اللفة الصغيرة في حقيبة يدها بأصابع مرتجفة . . . يا لسخرية القدر ! فقد اكتشفت منذ أيام فقط أنه كان يحبها طوال سنوات ، أحبها حبًا كبيرًا دفعه إلى طلب الزواج منها ومرافقتها إياه . لكن عدم ردها على رسالته أقنعه بأنها إنما تلعب لعبة طفولية معه .

ومع ذلك فقد احتفظ بوردتها ، حملها معه لتذكره بها . والآن ، بدل أن تتلاشى الأشباح وتختفي الظلال ، يكتنفهما ضباب عازل يمنعهما عن الاتصال من جديد .

عندما وصلا إلى أول البلدة رفعت نفسها عن المقعد :

– هل تسمح بإنزالي هنا ، أرجوك ، لدي بعض الأعمال .

فرد ببرود :

– كما ترغبين .

انتظرت إلى أن ابتعدت السيارة . . . فتناولت الوردة من مكانها وفركتها بيدها ثم نثرتها في الهواء ، وأكملت طريقها وهي تحس بأنها تركت شوقها وحب المراهقة ينتثر في الهواء إلى الأبد .

مع اقتراب احتفال المدرسة ، أحست سوزان بتزايد قلقها . لكنها أقنعت نفسها بأن ليس هناك من مبرر منطقي له . . . فالتمارين جيدة ، وروز تزداد ثقة بالنفس يومًا بعد يوم . أما تصرفات هيلدا ومن يحيط بها فقد تجاهلتها . وليس ذلك فحسب بل أنها بدأت تشفق على هيلدا التي أفسدها الدلال

www.riwaya.net مكتبة رواية

فقد اقتنعت الفتاة بشكل واضح أن سوزان ستضطر إلى تغيير رأيها في النهاية لإعادة الدور إليها . فراحت الآن تعزّي نفسها بإبداء أغرب الملاحظات ، التي استطاعت روز أن تتظاهر بعدم سماعها . . . أو حتى فهمها .

سرت بشكل محتوم شائعة تركها العمل ، وبدأ زملاؤها يظهرون الاستياء . ولمَّا علمت أن زملاءها يريدون شراء هدية لها . قررت ألا تأخذها معها لئلا تذكرها بالبلدة . فبعد اليوم لا ذكريات ، أو ندم ، ولا شوق أو إحباط .

كانت تعيش يومها كما هو ، متجنبة التطلع إلى الماضي أو المستقبل . . . فلقد عاشت فترة طويلة من حياتها مترقبة . وإذا عادت إليها الآن ، فقد تجد نفسها وقد غمرها «ما قد يكون».

www.riwaya.net مكتبة رواية

أمسية الحفلة ، ارتدى الأطفال ملابسهم في غرفة تقع قرب قاعة الاحتفالات . كانت سوزان تنهي تثبيت لحية اصطناعية لأحد الأولاد عندما أحست بمن يشدها من كم فستانها ، فنظرت لتشاهد روز متجهمة الوجه متسعة العينين فقالت لها :

– ارتدي ثيابك ، فلم يعد أمامنا وقت طويل .

– تعالي وانظري آنسة أرجوك .

النبرة الملحة فى صوت روز جعلتها تجفل ، فتركت ما كانت تفعل ، وذهبت لتشاهد ما أقلق روز . لم يكن السبب غير متوقع فالثوب الأزرق البسيط الذي سترتديه لتمثل «العذراء مريم» معلقا على الكرسي . . . عليه بقعة كبيرة من الدهان .

التقطت سوزان الثوب ، ترى أن كان هناك من إمكانية لإصلاحة . . . ولما لم تجد غضبت ، ولكن كان عليها السيطرة على غضبها ، فابتسمت لروز مشجعة :

– حسنا ستضطرين لارتداء ثوب آخر . . . وسأفكر في شيء آخر .

هزت الطفلة رأسها ولكن الدموع لم تكن بعيدة عن عينيها . لم تحاول سوزان التفتيش عن هيلدا لاقنغهام فهي تعلم أن الذنب سيظهر على وجهها إضافة للانتصار . وقد يكون الأمر حادثًا عرضيًا ، قالت بهدوء :

– انهوا ارتداء ملابسكم يا أطفال . . . لن أغيب أكثر من دقيقة ، وأريدكم عند عودتي جاهزين .

نظرت المديرة إليها دهشة عندما طلبت منها الهاتف للاتصال بقصر كوانتون . ومن هناك ردت إيل سونغ التي كانت على وشك التوجه إلى البلدة ، فسألتها سوزان عما إذا كانت قادرة على إيجاد قماش أزرق لخياطة عباءة أخرى للتمثيلية .

استمعت المديرة إلى الحديث من جانب واحد ، فقالت :

– حادثة هه . . . ؟ شخص ما استخدم الدهان والصمغ في غرفة ارتداء الملابس . . . دعك من هذا يا سوزان !

– وماذا أستطيع القول غير هذا ؟

– وماذا عن هيلدا لاڤنغهام التي لم تخف استياءها من خسارتها الدور .

فتنهدت سوزان :

www.riwaya.net مكتبة رواية

- إذن لقد بلغ الأمر مسمعمك ؟

- طبعا وصلني . . . لكن لدي مبدأ يجعلني لا أصدق نصف ما أرى ولا شيء مما أسمع . إن الشائعات التي كانت تطلقها هذه العائلة سفيهة . . . فليتك ما تأثرت بها ؟

- تأثرت قليلاً . . . لكنني استطعت تحملها . . . ولكن الهجوم على روز نفسها هو ما يؤلمني .

- هل تظنين هذا سيؤثر عليها ؟

- للزمن وحده الرد . آه المسرحية ستعرض بعد دقائق . . . ويجب أن أسرع حتى يجهز جميع الأولاد .

عندما وصلت كان نصف القاعة ممتلئًا . . . يبدو الخوف على الجميع ، بدرجات متفاوتة ، حتى هيلدا لاڤنغهام كانت شاحبة وصامتة .

لاحظت سوزان بقلق أن روز لم تكن بين الموجودين . فغاض قلبها خوفًا ، من أن تقرر الفتاة عدم الظهور . لكن ، سرعان ما ظهرت إيل سونغ الجميلة الأنيقة عند الباب تمسك روز بيدها . شهقت سوزان عندما شاهدتها . ففي الفترة القصيرة التي غابت فيها فعلت إيل سونغ العجب ، فالثوب الازرق الجديد رائع في بساطته . والغطاء الأبيض الحريري الذي يغطي شعر روز يتدلى تقريبا حتى الأرض .

ابتسمت إيل سونغ برضى وقد رأت إعجاب سوزان الواضح . قالت :

– عندما يكون هناك أمر طارىء يجب على المرء أن يخترع .

نظرت إلى الغرفة التي امتلأت بالعيون الدهشة . وسألت :

– من هيلدا لاڤنغهام ؟

ساد صمت طويل ، ثم خطت هيلدا إلى الأمام . فتفحصتها إيل سونغ ثم ابتسمت :

– أنت إذن هيلدا لاڤنغهام . . . ما أجملك ! قيل لي إنك تغنين وأنا مغنية أيضًا فإذا أحببت سأعطيك دروسًا بعد الميلاد .

ظهر الذهول على وجه هيلدا . فوهبتها ابتسامة أخرى ساحرة ، ثم أضافت غمزة لسوزان ثم ذهبت . بدأ الاحتفال

بعد قليل ، فاستطاعت سوزان تسجيل أصوات الاستحسان والتصفيق . . . .

منذ أن أطلَّ أول طفل على المسرح وسمعت التصفيق والتهليل علمت سوزان أنها ستنجح . ارتفعت روح الأطفال المعنوية ، فرموا بأنفسهم في صميم الروح المسرحية . . . ودخل الرعاة ، والحكماء ، والعبيد يحملون الهدايا من زاوية القاعة البعيدة نحو المسرح ، باتجاه طفل المغارة ، بشكل خطف اهتمام الجمهور .

عندما حانت لحظة غناء روز ، غنت وكأنها لعبة من «البورسلان» أمام الطفل ، ثم بدأت الغناء ، وبدأ بعض الراشدين الجالسين في القاعة يستخدمون مناديلهم دون أن يتوقعوا احتياجهم إليها .

أمامهم موهبة قد تنمو وتتطور لو وجهت بحكمة . وإيل سونغ تملك تلك الحكمة ، فقد شاهدتها تميل إلى الأمام تستمع ، وعيناها السوداوان اللوزيتان تستقران على طفلتها .

. .

التفتت سوزان بطريقة آلية إلى دقيق إيل سونغ . فأجفلت الدهشة . . . نيل ليس هناك . . . من المؤلم التفكير بأن الشائعات نالت منه أخيراء وأنه تعمد الابتعاد بسببها . . . وربما بعد افتراقهما الأخير لم يعد يريد رؤيتها . . . وهذا أكثر إيلامًا لها .

بعد أن أسدلت الستارة على المشهد الأخير تصاعد التصفيق حارًا .

جاءت روز إلى سوزان وعيناها مليئتان بالاثارة :

www.riwaya.net مكتبة رواية

– أوه آنسة سوزان . . . هل رأيت ؟ والدي هنا . . . يجلس مع أمي .

هزت سوزان رأسها بعطف وقالت بسرعة :

– لا أظن هذا يا عزيزتي ، وأظن أن شيئًا ما قد أخره .

فنظرت إليها حائرة :

– لا . . . إنه هناك . . . . لقد شاهدته . . . . لكنني لم ألوح له . . . لأنك طلبت مني ألا أخرج عن دوري .

استجمعت سوزان نفسها ، وقالت بسرعة :

– حسنًا أحسنت صنيعًا . . . فليتهيأ الجميع للنشيد النهائي .

تقدمت المديرة أخيرًا من المسرح ، فشكرت الحضور لاهتمامهم ، والأولاد والمعلمات ، وسوزان ، ثم توقفت قليلاً قبل أن تكمل :

– العديد منكم سيأسف عندما يعلم أن الآنسة بيل التي قدم التلامذة تمثيليتها . الليلة ، ستترك عملها وقد رأينا أن نقدّم لها هذه الهدية عربون محبة . . .

ابتلت عينا سوزان دون خجل بالدموع وهي تصعد السلم من جانب المسرح وسط التصفيق . . . وإذا كان هناك من أقاويل ، وإذا كان مروجوها يجلسون هناك الليلة ، فقد نسيت كل شيء في دفء وحرارة العاطفة التي أحست بهما .

. .

بعد أن استلمت هديتها تقدَّم منها بعض الحاضرين يعبرون عن أسفهم لمغادرتها ، فابتسمت وشكرتهم . وكانت تستدير مبتعدة عندما تقدمت إيل سونغ نحوها .

– ما هذا يا سوزان ؟ أنت لم تذكري شيئًا عن الرحيل . يؤسفني ما سمعت خاصة وأن روز تحبك كثيرًا .

فأجبرت سوزان ابتسامة على فمها :

– وأنا أحبها أيضًا . البقاء في مكان واحد يضجر الإنسان . . ولقد آن لي أن أتحرك .

فقالت إيل سونغ :

– تتكلمين كما يتكلم نيل . . . فهو لا يفكر إلا بالرحيل ثانية . إنه غير صبور . لقد طلبت منه قضاء الميلاد معنا لكنه رفض .

– ولكن . . . هذا أول عيد ميلاد لكما معًا .

– هذا ما يقوله ، ولكنه يضيف أنه يحس بأنه دخيل بيننا . . . مع أنني أرحب به كل الترحيب فهو أعز صديق لنا ؟

بدأت سوزان تحس بالارتباك ، يا لها من طريقة غريبة للاشارة إلى الرجل الذي ستتزوجه . فقالت :

– لكنه يعرف ما يعني بقاؤه بالنسبة لروز ؟

فابتسمت إيل سونغ :

– لا فائدة من هذا القول ، منذ أن عاد والدها لم يعد يحظى بالمكانة الأولى في قلبها .

– وا . . . والدها ؟

لم تدرِ كيف نطقت بهذه الكلمات . نظرت إليها إيل سونغ نظرة غريبة .

– طبعا . . . ألم تعلمي بمجيئه ؟ إنه معنا منذ الأمس . . . تعالي ، يجب أن أعرفك إليه .

أمسكت يد سوزان دون مقاومة لتقودها إلى حيث وقف رجل أشقر الشعر ، طويل القامة .

– تشارلز ، هذه سوزان بيل ، إنها من اعتنى بروز عندما وصلت إلى البلدة مريضة .

نظرت سوزان بحيرة إلى وجه لوحته الشمس ذى عينين بنيتين ، أمسك يدها بحرارة وثبات :

– سمعت الكثير عنك آنسة بيل ، حتى بت أشعر أننا التقينا من قبل .

قاومت سوزان لتستعيد وعيها :

– من روز كما أظن .

فابتسم لها :

– ليس كل ما سمعته . . . علي أن أقول لك انني صديق نيل منذ أكثر من عشر سنوات . لقد بدأنا معًا العمل في الشركة نفسها . . . ماذا بك . . . ؟ هل أنت بخير ؟ ما هذا الشحوب ؟

فردت سوزان آليًا :

– أجل . أجل أنا بخير .

سعت عيناها إلى إيل سونغ ، التي كانت تراقبها ، وبريق الفهم يعلو وجهها . . . بللت شفتيها بذعر .

أترين . . . لقد ظننت . . . . لم أكن أعرف . . .

توقفت متلعثمة ؛، فابتسمت إيل سونغ ، وأكملت عنها :

– ظننتني سأتزوج نيل ؟

فهزت سوزان رأسها . . . بينما إيل سونغ تردف :

– هذا يفسر الكثير . . . نيل لم يكن أكثر من صديق عزيز . ولولاه لبقيت وتشارلز منفصلين . فعندما قرّر القيام بمشروعه كان أول من فكر فيه ليتسلم الإدارة . فلقد ترك

www.riwaya.net مكتبة رواية

تشارلز العمل في البترول منذ ثلاث سنوات ليعمل مساعدًا في مدرسة مماثلة في بريطانيا . . . لكن لم يكن لي هناك مكان . فغضبت كثيرًا . أما الآن ، فأنا أشكر نيل الذي أمن لنا منزلاً ، ووظيفة وفرصة للسعادة .

فقالت سوزان مخدرة الحس :

– لكن . . . نيل ترك الجميع يعتقد . . .

فقاطعها تشارلز :

– تركهم يعتقدون ما يريدونه . . . وهذه عجرفة منه . لكنني أظنه كان سيشرح الوضع لانسان يهمه أمره على أن يُسأل أولاً .

احترق وجه سوزان بالاحمرار المؤلم من جراء نظرته ووضعت إيل سونغ يدها برفق على ذراع سوزان ، قائلة :

– أظن أن نيل أيضا بحاجة لتفسير . ولكن ليس أمامنا وقت كبير ، إنه في المنزل الآن يوضب أغراضه للسفر .

أخرج تشارلز حزمة مفاتيح سيارة ثم نظر إليها :

– أتجيدين قيادة سيارة ؟ إنها السيارة السوداء الواقفة تجاه البوابة . أما نحن فسنسير في طريق العودة . . . ببطء .

عندما لم تجد السيارة المألوفة أمام المنزل . أظلم كل شيء في نظرها . واجتاحتها موجة من العذاب ، لكنها قررت أن تسافر إلى حيث يسافر .

www.riwaya.net مكتبة رواية

نزلت من السيارة وتوجهت إلى البوابة فأدارت المقبض ، فانفتح لها المنزل تاركًا الباب مفتوحًا . . . .

طارت كالشبح عير الردهة المعتمة ، وبدأت ترتقي السلالم . . . فيما مضى تركت غريزتها تقودها وهذه المرة ستتركها تستلم زمام قيادتها . . . فقادتها إلى غرفته القديمة . . . التي تحتلها روز حاليًا .

كانت مظلمة لكنها استطاعت رؤية جسده المديد يقف قرب النافذة . كما استطاعت رؤية لمعان السيكار الذي كان يدخنه . . . وقفت في الباب ، ثم قالت ، بقليل من الريبة :

– نيل ؟

التفت إليها وقد خرجت من فمه صيحة دهشة . . . .

www.riwaya.net مكتبة رواية

جمدت الغرفة وسكنت وكأنهما توقفا معاً عن التنفس . . . ثم قال :

- ماذا تفعلين في القصر يا سوزان ؟ لا شيء لك فيه .

- لم أتِ لآخذ . . . بل لأعطي ، إذا سمحت لي .

فقال بخشونة :

- لا أريد هدايا منك احتفظي بها لمن ستتزوجين . أما قلت ذلك من قبل . . . روسمان ما زال يسعى وراءك وما عليك سوى رفع أصبعك الصغير لتستعيديه .

هزت رأسها بقوة دون أن تهتم إذا شاهدها أم لا في ظلام الغرفة . . . وقالت له :

– الهدية لك يا نيل ، وإذا رفضتني . . . فما على الهدية إلا أن أحتفظ بها لنفسي . . . فليس هناك ما أقدمه لبيتر . . .

حاولت أن تضحك ، ولكن ما صدر عنها كان أقرب للبكاء . وسمعته يتنفس باسمها . . . ثم تلاشى كل الظلام وقد وجدتها ذراعاه .

– أوه يا سوزان . . . يا ساحرتي الحلوة . حسبتك ستقبلين به زوجة وتستقرين في قصر روسمان . . . فأمك كانت واثقة جدًا من أنك تريدين بيتر حقًا وقد دعتني إذا كنت أحبك حقا إلى الخروج من حياتك ، وأعيد لك راحة البال . . . لكنني لم أصدقها إلى أن رأيت وجومك في السوق الخيرية عندما ظهر مع فتاة أخرى .

فضغطت خدها على صدره :

– لم يكن هذا ما كدري . . . فقد اكتشفت يومذاك أن الجميع علم بتلك الليلة التي قضيناها في النزل . . . فابنة آل لاڤنغهام الكبيرة تعمل فيه وشاهدتنا . وكان الناس يدعون أنني أعطيت روز الدور الأول في تمثيلية الميلاد لأنني أردت إرضاءك . إرضاء عشيقي .

– آه . . . فهمت . . . أعتقد أنه كان علي شرح الوضع بوضوح أكثر عندما جئت بروز إلى هنا . لكنني كنت أعتقد أن هذا من شأن إيل سونغ وتشارلز وحدهما . . . فقد افترقا بسبب سوء تفاهمهما . . . وكنت أعتقد دائما بأنهما إن اتيحت لهما الفرصة دون ضغوط فقد تحدث المعجزة .

جذبها نحو النافذة ، وجلسا معًا على حافتها العريضة . . . ومررت اصبعها على فمه :

– ألم تكن ترغب في العيش في البلدة ؟

– لا . . . فذكرياتي في هذا المنزل لم تكن سعيدة كلها . . . لذا ارتأيت استخدامه في ما ينفع . . . وأظن أن عمي كان يحس بالشيء نفسه . . . لقد سوينا خلافنا قبل أن يموت ، ومع ذلك لم يغير وصيته ، لكنه قدم لى مبلغًا محترمًا يعنى على شرائه حالما يعرض للبيع . . .

– لكن . . لم تكن مضطرًا للقيام بالمشروع بنفسك . . . فيما أن ذكرياتك في المكان غير سعيدة فقد كان بإمكانك تعيين وكيل عنك .

– عدت لأجلك يا سوزان . عندما لم تردي على رسالتي طوال هذه السنين أحسست بالمرارة والجرح لأننى لم أستطع

www.riwaya.net مكتبة رواية

نسيانك رغم ما حاولت والله يعلم كم حاولت . لذلك قررت أن أجعلك تعانين قليلاً . ولكن لما شاهدتك ثانية ورأيت القوقعة التي بنيتها حولك ، أردت أن أعرف ما إذا كنت أنت داخلها . . . وما أن عانقتك أول مرة ، حتى عرفت أنك هناك ، وعرفت كذلك أنني ما زلت أريدك . ولو اضطررت إلى قتال شرس لأحصل عليك . ولكن بعدما انفصلت عن روسمان وجدتك تبتعدين أكثر فأكثر عنى .

فقالت له :

– ظننتك ستتزوج إيل سونغ .

– وهذا كان بسبب الاقتناع الذي رسخ في عقول الجميع بأنني والد روز .

www.riwaya.net مكتبة رواية

ضحك ، ثم أردف :

– مع أنني لم أقل لأي كان إنني والدها . لكن الناس أرادوا أن يستنتجوا ما يريدونه بناء على تفاصيل قليلة قلتها لهم .

– لكن لماذا لم تخبرني الحقيقة ؟

فضمها إليه :

– لم تساليني قط ، يا حبي . عندما اعتقدتك تحبين بيتر قلت لنفسى إنك لم تسأليني لأنك غير مهتمة .

– بلى كنت مهتمة . آه لو تعلم كم كان اهتمامي عظيمًا ! . . . لقد قدمت استقالتي من عملي فى المستشفى ، لأننى لم استطع تحمل فكرة اضطراري للعيش في البلدة نفسها وأنت متزوج من أخرى .

فضحك بسخرية :

– وكانت تصرفاتي مثالية . . . وألوم الناس على الاستنتاج الخاطىء . . . كم كنا غبيين .

اشتدت ذراعاه حولها :

– لكن الآن انتهت معاناتنا وعذابنا . ألا تدركين يا حبيبتي أننا أصبحنا أحرارًا . . . وهذا يعنى أننا قادرون على الذهاب إلى حيث نريد .

همست وشيء من الأسى في صوتها :

– وكأنما السبع سنوات التي مرت بنا لم تكن . . . اوه يا نيل أين لنا أن نذهب ؟

فقال ببساطة :

www.riwaya.net مكتبة رواية

– إلى حيث يوصلني عملي . . . وضمن حقيبة السفر ، التي عرضتها عليك من قبل . ولكن في هذه المرة ، أعدك أننا سنؤسس لأنفسنا منزلاً . . . تلدين لي فيه أطفالنا ، نربيهم ، لكني لا أريدهم الآن بل أريدك أنت لفترة طويلة .

تعانقا بقوة . . . وهما متعلقان ببعضهما بعضًا أذ صوت طفولي بالغناء . . . «يا طفل المغارة» جماله ، يصل إليهما عبر هواء الشتاء الساكن ، صوت صاف كأنه ليس من هذه الأرض .

رفع نيل رأسه فقال وضحكة تشوب صوته :

– روز . . . إنها طريقة بارعة تخبرنا بأننا لم نعد وحدنا . هل لنا أن ننزل لنخبرهم .

ويدًا بيد خرجا من الغرفة معًا .

لتحميل مزيد من الروايات الحصرية و المميزة

زوروا موقع مكتبة رواية

www.riwaya.net

تمت